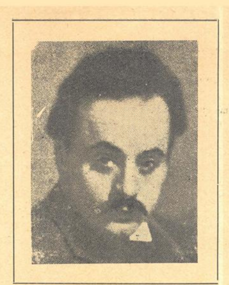


صوت المعلم ... أثر جديد لجبران

بقلم يعقوب فرام منصور

منذ سنين وانا اضيف الى مكتبتي بين الفينة والاخرى ، كتب جبران خليل جبران الانكليزية اصلا ، والمترجمة من العربية الى الانجليزية .

وقبل شهور وصلني كتاب « الاجنحة المتكسرة » مترجما الى الانكليزية بقلم صايم موسى نحماد ، ثم اعقبه اخر هو الاثر الجديد الذي انا بصدده ، وعنوانه « صوت المعلم »(1) لمترجمه انتوني رزق الله فرس (او فارس لا ادري بالضبط) . ان اسم المترجم ليس غريبا علي، فقد سبق ان عرفته مترجما لكتابي جبران «الارواح المتمردة» و « دمعة وابتسامة » اللذين وصلاني في فبراير سنة ١٩٤٩ ، وهما من منشورات المكتبة الفلسفية فينيويورك، والانطباع الذي حملته انذاك عن المترجم ، انه لم يحسن ترجمة دمعة وابتسامة اذ انه لم يكن امينا في نقل المعاني بدقة ، كما انه اسقط بعض الكلمات وحذف قطعا ومقالات بكاملها . اما ترجمة الارواح المتمردة فكانت امينة وجيدة فيما يخص القصص الثلاث التي احتواها الكتاب المترجم، فالقصة الرابعة (مضجع العروس) لم تدرج فيه .. وبعد شهور ، وصلتني ترجمتا حايم موسى نحماد للكتابين ذاتهما من منشورات « هاينمن » بلندن ، فوجدتهما افضل بكثير .

لذلك عندما وصلني الكتاب الجديد ، كاد ان يتطرق الى قلبي بعض اليأس والخيبة والشك ، لكنني دفعت كل هذه المخاوف دفعا ، واقبلت على الكتاب وغايتي الاولى هي تحسس روح جبران الحقيقية منبثة بين منعطفات الكتاب ، والثانية ادراكه واستيعابه والانتشاء بسلافته الروحانية . وبما ان النص العربي غير متوفر لدي ، استطيع القول ، وقد فرغت من الكتاب ، اني قد تذوقت نفس الخمرة السماوية التي اتذوقها عند مطالعتي اثار جبران ، تلك الخمرة التي هي مزيج من رحيق الفن وعصير المحبة واكسير الحكمة وكوثر عذب من الصوفية الناعمة المجنحة . وتحسست نفس جبران في كل كلمة قراتها .

لقد حاولت ان اعثر على أسم هذا الكتاب ، واجد له ذكرا في المصادر التي في حوزتي عن جبران ، فلم افلح لكنني عدت الى كتاب جميل جبر ، فوجدت في صفحة ٣٣ لمحة من نور ، قد تكون فيها ضالتي ، اذ يقول :

« فلازمها جبران متفائلا – يقصد امه – وقرا لها بعض خواطر التمعت في ذهنه ، فدونها خميرة لكتاب نوى وضعه « ليصلح الكون » ، فأطرت سمو تفكيره ونصحت له بأن يدع للزمان مجالا لتخثيره ، فانتصح وطوى الشذرات على غير نشور » . ثم يعلق الاستاذ جميل في الحاشية على هذا الكلام بقوله : (عن بربارة يونغ ويوسف الحايك. لعلها بعض افكار بدائية انضجها في « النبي ») .

اني اميل الى الاعتقاد بأن (صوت المعلم) هو نواة « النبي » او انه « النبي » قبل ان ينضج نضوجا نهائيا في عقل وقلب جبران . وحجتي في ذلك تستند على نقطتين : اولاهما ان الكتاب لم يظهر في العربية خلال مرحلة حياة جبران الاولى ، عملا بنصيحة والدته المشار اليها في المرجع الذي ذكره جميل جبر، وثانيتهما التشابه العظيم الكائن بين افكار « النبي » واراء « صوت المعلم »، كما ان هناك تشابها كبيرا في النسق والاسلوب اللذين بهما جسم جبران افكاره واراءه . ففي « صوت المعلم » يتكلم المعلم عن الحب والزواج والحكمة والقانون والمساواة والطبيعة وغير ذلك ، مخصصا فصلا لكل موضوع كما في « النبي » . وفي « صوت المعلم » نزوح عن الوطن لبنان الى فينيسيا (البندقية) والمكوث فيها فترة قصيرة ثم عودة الى الوطن ، كما في « النبي » هجرة الى « اورفليس » واوبة الى جزيرة المنشأ بعد اثنتي عشرة سنة . الا ان « صوت المعلم » يختلف بان الواعظ ليس هو المعلم ذاته كالمصطفى ، بل هو تلميذ المعلم الذي سماه « المهتدى » .

هذا هو رايي الخاص ، وهو لا يعدو الترجيح والحدس بل ابغي من المترجم ، خدمة للحقيقة والادب ، ان يذكر لنا شيئا عن الاصل العربي لترجمته ، واين هي الان ، وكيف وقعت بين يديه ، وما هو السبب باعتقاده في عدم ظهور هذا الاثر كما وضعه جبران اصلا ، والاجابة

1. The Voice of the Master.

على كل تساؤل في هذا الصدد .

كما اني اطلب من المترجم ومحبي جبران الاسهام في اخراج هذا الاثر النفيس بنصه العربي . فأنه لمن الحيف والمؤسف حقا ألا يخرج هذا الكتاب بلغته الاصلية، اذ انا استبعد ان يكون هذا الاثر قد ظهر مؤخرا بطبعة عربية في المهجر .

ان هناك من يشبه كتاب جبران (السابق) بالنبي يوحنا المعمدان الذي سبق المسيح بالكرازة والتبشير والتعميد . اما الآن وقد ظهر هذا الاثر الجديد ، فهذا الوشاح باعتقادي يجب ان يلقى على « صوت المعلم » ، فهو به اجدر وانسب . اذ ان التفاوت بين « النبي » و « السابق » اسلوبا وروحا ومغزى وغاية ، يبدوكبيرا جدا الى حد يجعل البون شاسعا بين يسوع ويوحنا ، وهذا غير صحيح .

يقع الكتاب في جزئين ، اولهما يشتمل على فصلين : رحلة المعلم الى البندقية ، ووفاة المعلم . في الفصل الاول تقع عين التلميذ « المهتدى » على المعلم وهو يقطع الحديقة ذهابا وايابا ، وقد لاحت علاما ت الكابة على ملامحه ، فيستفسره التلميذ عن دواعي كربته ، فيطلب المعلم من تلميذه الجلوس على الصخرة عند بركة السمك ، وهناك يقص المعلم حكايته ، يستهلها بقوله :

« انت تبغي مني ان اسرد لك المأساة التي تحتلها الذاكرة على مسرح قلبي صباح مساء . انت قلق لصمتي الطويل وسري المكتوم ، وانت مضطرب بسبب تنهداتي ونحيبي . وانت تقول لنفسك : ان لم يقدني المعلم الى معبد احزانه ، فانى لي أن انفذ الى بيت محبته ؟

« اصغ الى حكايتي ، ولا تشفق علي ، انما الشفقة من اجل الضعيف ، وانا ما زلت قويا في كربتي . »

ثم يمضي المعلم في سرد الحكاية ، ومجملها انه منذ صباه ، كان طيف امرأة غريبة لا يبرحه يقظانا ونائما . ففي صمت الليل البهيم كان يسمع صوتها السماوي ، وعندما يطبق جفنيه ، يشعر لمس اناملها على شفتيه . وكان هو نفسه يعجب لامره فيقول : « تراني هل انا انكمشت بنفسي عن المجتمع وبهرجة المدنية لاكون وحيدا مع من اهوى ؟ هل انا اغلقت سمعي وبصري دون مظاهر الحياة واشكالها ، مفضلا ان المحها واسمع صوتها العاوي ؟ هل انا ممسوس ، مكتف بالوحدة ، يصيغ من اطياف عزلته رفيقا وقرينا لروحه ؟ »

حقا لقد كانت تلك المرأة الخيالية قرينا له ، كثيرا ما تتردد عليه وهو في ضيق ومحنة ، فتبدد احزانه واضطرابه .

وكأنه لمع في خاطر المعلم ان تلميذه سيسأله مستغربا كيف يستطيع الاكتفاء بمثل هذه الحياة ، وكيف لرجل مثله ، في ربيع الحياة ، ان يجد الغبطة في الاطياف والاحلام ! لكنه يجيب على هذا التساؤل الخفي : « لكنني اقول لك ان السنين التي انفقت على هذا المنوال ، لهي بمثابة حجر الزاوية لكل ما استوعبته من معرفتي للحياة والجمال والسعادة والسلام . »

ويستمر المعلم ، فيقول : « منذ عشرين عاما ارسلني محافظ جبل لبنان الى البندقية في مهمة تعليمية مع رسالة توصية الى امين المدينة الذي كان قد لقيه في الاستانة . وقبل ان يقلع المركب الى ايطاليا ، وعيت صوتا في داخلي يهمس : « عد ! لا تبرح ! عد الى الساحل قبل ان تهجر السفينة ! » . وفي المساء وجدتني في المركب وحيدا ، وعبثا حاولت العثور على قرينتي وامرأة احلامي – المرأة التي هام بها قلبي . ولما اسدل الليل سجوفه ، غدا كل من في المركب نياما سواي ، وقد تنازعني القلق والاضطراب . وعلى حين غرة ، بدت لي قرينة حياتي ، فقالت : « لماذا سلوتني ايها الحبيب؟ اين كنت ؟ كن ملازمي ولا تبرحني ثانية ! » . وعندما اويت الى مضجعي في المقصورة ، لاحت لي في الحلم شجرة تفاح كالصليب ، وقد تدلت منها كالمصلوبة رفيقة عمري وقطرات من دمها نزت من يديها وقدميها ، فوقعت على ازهار الشجرة المنثورة .. »

وبعد ابحار دام خمسة عشر يوما ، رست السفينة في ميناء فينيسيا وهبط منها الى الجندول الذي انساب به ما بين القنوات . ولما كان الوقت ليلا ، بدت له فينيسيا وقد انعكست انوارها واضواء نوافذها على صفحات القنوات ، كصورة فاتنة من الصور التي تفد على رؤى الشاعر . واذ هو عند مفترق قناتين ، بلغ سمعه قرع اجراس جنائزية . ولما قاده ملاح الجندول الى حيث قصر امين المدينة ، وفتح له الباب ، تواردت اليه اصوات ولولة ونواح . وهناك سلم خادما مسنا الرسالة التي معه من محافظ لبنان ، فأنفذها الى الداخل . وبعد هنيهة علم من خادم صغير ان ابنة صاحب القصر قد قضت نحبها في ذلك اليوم .

لكن الوالد المفجوع المكتئب ، احسن لقاء المعلم وضيافته ووعده ان يعمل بكل ما في طاقته لتحقيق مهمته . وبعد أن غادر المعزون ، هم المعلم بالانصراف ، لكن الوالد المحزون استوقفه والتمسه ان يمكث ضيفا ان هو استطاع احتمال الاسى معه . فلامست كلماته شغاف قلب المعلم ، واستجاب لرغبته ، ولقي منه احسن ما يلقى الضيف من اعتناء واهتمام .

في الليلة الاولى التي قضاها المعلم في القصر المنيف ، الذي جللته غمامة الاسى ، الفى نفسه في حال بين سكرة النوم وصحوة اليقظة ، واحس طيفا اثيريا يحوم فوقه ويناديه دونما دليل حسي . فمشى لا اراديا ، كأنه في حلم ، نحو القاعة حيث وجد في الوسط نعشا تحيطه شموع مرتعشة واكاليل زهور بيضاء . هناك ركع وتطلع في المتوفي ، فوجد ان الموت قد جلل وجها حبيبا الى

قلبه ـ وجه محبوبته ، رفيقة العمر التي عبدها ـ لاحت له في جمود الموت ، مسربلة بالبياض،محاطة بزهور بيضاء يحرسها صمت الاجيال .

وهنا يغرق المعلم في مناجاة روحية ، ربانية . ومما يقول فيها :

« يا رفاق وحدتي واغترابي : لقد شاء الرب ان اكرع كأس الحياة العلقمية ، فلتكن مشيئته . اننا لسنا سوى ذرات ضعيفة في فضاء الكون ، وليس في مقدورنا الا الاستسلام لمشيئة العناية . »

لقد اسهبت قليلا في ذكر هذه الصور الجبرانية البديعة لروعتها واهميتها . فجدير بالقارىء ـ عند هذا الحد ـ ان يدرك حقيقة هذه المراة التي يدعوها جبران « قرينة الحياة » و « امراة الاحلام » . فهل ادركت ايها القارىء ، من هي ؟ اخالك في غنى عن ان اجيبعنك: هي الحياة ـ اجل الحياة التي احبها جبران حبا جما ، فلم يكتف بالمكوث على (برها) والوقوف عند (ساحلها) ، بل شاء ان يقتحم (عبابها) ويتغلغل في (محيطاتها) .

ثم يخاطب المعلم تلميذه : « اني اذ احكي هذه الحكاية، لا اشكو ، لان من يشكو يشك في الحياة ، وانا قوي الايمان . اني اؤمن بقيمة المرارة الممتزجة بكل مغبة ارشفها من كأس الحياة . اني اؤمن بجمال الحزن المخترق مهجتي . انا اؤمن برحمة هذه الاصابع الفولاذية التي تهصر روحي فيما بعد . »

ويمضي المعلم فى القول : « وبعد انصرام ثلاثة اسابيع برحت البندقية ، وكأني قد انفقت دهورا مديدة . اما طيفها ، فظل . ومع اني وجدتها ثانية في الموت فحسب، غير ان ظلها بقي حيا في . في ظله عملت وتعلمت . اما اعمالي ، فانت ـ ايها التلميذ ـ تعلمها جيدا . فقد سعيت ان اتي الى شعبي وحاكميه بما حصلت عليه من الحكمة والمعرفة ، وجلبت الى (الحارس) ، محافظ لبنان، صراخ المظلومين الذين كانوا تحت وطأة وعسف وتجني رجال الدولة والكنيسة .

لقد اسديته النصح بان يسلك نهج اسلافه ، ويسوس رعيته ـ كما فعلوا ـ بالرافة والمحبة والحصافة ، وقلت له : ان الشعب مجد مملكتنا ومصدر ثروتها. كما قلت: على الحاكم ان يقصي عن دولته : الغيظ والطمع والبهتان والشراسة .

وبسبب من تعاليمي هذه وغيرها ، عوقبت واقصيت وحرمت من الكنيسة . وحلت ليلة عندما داهم الاضطراب قلب (الحارس) ، فلم يغمض له فيها جفن . فوقف عند النافذة ، يتأمل الافلاك والكون والخالق ، متسائلا : من هو وما سبب وجوده هناك ! وتذكر اقصائي ، وندم على ما بدر منه نحوي . وللفور طلبني وسألني الغفران،وانعم علي ببزة رسمية ، واعلن للملأ باني مستشاره ، ووضع مفتاحا ذهبيا في يدي .

لست أسفا على الاعوام التي امضيتها في المنفى . فان من ينشد الحقيقة ويعلنها للبشر ، عليه ان يقاسي . ان اشجاني علمتني ان افهم احزان اخوتي في الانسانية . فلا الاضطهاد اطفأ الخيال الذي في ولا المنفى . »

وبعد ان ختم المعلم قصته ، شعر بالتعب ، فصرف تلميذه ، وقصد عزلته ليريح جسمه وروحه من متاعب الذكريات القديمة .

الى هذا القدر ينتهي الفصل الاول . اما الثاني فيستهل بهذا الكلام :

« انصرم اسبوعان ، ومرض المعلم . فتوافد نحو المنسك جمع من المعجبين ، يستفسرون عن صحته . وعندما بلغوا بوابة الحديقة ، راوا قسيسا وراهبة وطبيبا والمهتدى خارجين من صومعة المعلم . واعلن التلميذ الحبيب وفاة المعلم ، فشرع الجمع الغفير في النواح والندب . اما المهتدى ، فلم يسفح دمعا ولم ينطق كلمة. ومكث المهتدى فترة يتأمل في نفسه ، ثم وقف على الصخرة قرب بركة السمك ، وقال :

« اخواني وبني وطني : ها قد بلغكم نعي المعلم . لقد سلم (نبي) لبنان نفسه الى النوم الابدي ، وروحه المباركة ترفرف فوقنا في سموات الروح ، عاليا وبعيدا عن كل حزن واسى . لقد نبذت روحه عبودية الجسد ، وحمى هذه الحياة الدنيا واوزارها .

. . . لقد كانت حياته على هذه الارض سلسلة طويلة من الاعمال العظيمة . كانت حياة فكر مستمرة ، اذ ان المعلم لم يعرف الراحة في غير العمل . لقد احب العمل، فعرفه بانه الحب المجسم . »

ويمضي المهتدى في تأبين معلمه تأبينا بليغا مؤثرا رصينا ، ويناشد الحشد الا يبكي المعلم والا يحزن لفقده ان كان حقا يحبه ، فيقول :

« لا (تعطوا) الفذ ، بل (خذوا) منه . فهكذا فقط ستقدرونه . لا تنوحوا من اجله ، بل ابتهجوا وانهلوا من اعماق حكمته . فبهذا وحده ستسدونه الثناء الذي هو أهل له . »

وبعد ان استمع الحشد كلمات التلميذ ، آبوا الى بيوتهم ، والبسمات على شفاههم ، واغاني الشكران في افئدتهم .

وامسى المهتدى وحيدا ، لكن العزلة ما ملكت قلبه،لان صوت المعلم ظل يتجاوب في اذنيه ، حاثا اياه على المضي في عمله وبذر كلمات « النبي » في قلوب وعقول الذين يصغون اليه بملء اختيارهم . وبعد فترة اربعين يوما من التأمل ، غادر المهتدى عزلته ، وشرع في التجول بين المزارع والقرى والمدن في فينيقيا القديمة .

وذات يوم ، اذ كان يجتاز سوق مدينة بيروت ، تبعه جمع غفير ، فتوقف في ممشى عام حيث التف الزحام حوله ، وخاطبهم بصوت المعلم ، قائلا :

« شجرة قلبي مثقلة بالثمر ،تعالوا ايها الجياع واقطفوا كلوا واكتفوا . تعالوا واجنوا من هبات قلبي ، وخففوا حملي . نفسي مرهقة بعبء الذهب والفضة . هلموا ايها الباحثون عن الكنوز واملأوا اكياسكم واريحوني من حملي.

قلبي يفيض بنبيذ العصور ، هلموا ايها العطاش واطفئوا ظمأكم .

بالامس لمحت ثريا واقفا عند باب المعبد ، مادا يديه المملوءتين بالاحجار الكريمة نحو عابري السبيل ، داعيا اياهم قائلا : اشفقوا علي ! خذوا من هذه الجواهر ، فقد جعلت نفسي مترفة وقلبي غليظا . ارأفوا بي ، خذوها . راجعلوني خاويا من جديد ! لكن واحدا من عابري السبيل لم يستجب لتوسلاته . وتطلعت الى الرجل ، وقلت لنفسي : كان من الافضل له حتما ، لو انه جال شوارع بيروت متسولا ، مادا يدا مرتعشة ابتغاء الصدقة ، وعاد الى البيت مع هبوط المساء خاوي الوفاض .

وشاهدت شيخا ثريا معطاء من دمشق الشام ، يقيم خيامه في مجاهل الصحراء العربية وعند سفوح الجبال. في المساء ، كان يوفد عبيده لايقاف المسافرين وجلبهم الى خيامه حيث يكسون ويضافون . لكن الطرق الوعرة كانت مقفرة ، وما عاد الخدم اليه بضيف .

وفي لبنان ، رايت ابنة محافظ الجبل ، تستيقظ من نومها ، مسربلة بثوب نفيس . شعرها مضمخ بالمسك، وجسمها ممسوح بالطيب ، تمشي في حديقة قصر والدها تنشد محبا ، وكانت قطرات الندى على السندس المخملي ترطب حواشي ثوبها . ولكن واحسرتاه ! بين كل رعية والدها ، لم يكن من فرد هام بها .

وددت لو اني شجرة لا تزهر ولا تثمر . فالم الخصب اقسى من الم العقم ، ووجع الغني السخي اشد وقعا من تعاسة المعدم .

« ووددتني بئرا خاوية ، لعل الناس يرمون حجرا في اعماقي . اذ الاجدى ان اكون بئرا خالية ولا نبع ماء نقي لا تلمسه شفاه العطاش .

ليتني قصبة مرضوضة ، تسحقها اقدام الانسان، فذلك انفع من ان تكون قيثارة في بيت ، اصابع صاحبه عليها البثور واهله صم .

اصغوا الي ، انتم ابناء وبنات وطني . تمعنوا في هذه الكلمات المنطلقة نحوكم من خلال صوت « النبي » . افسحوا لها مجالا في قلوبكم ، ودعوا بذور الحكمة تزهر في جنائن ارواحكم . فهذه هي عطية الرب الثمينة . »

وذاعت شهرة المهتدى في جميع اطراف الارض ، وامه الناس من مختلف الاصقاع لتبجيله والاستماع الى كليم المعلم . فتهافت عليه الطبيعيون ورجال القانون والشعراء والفلاسفة باسئلتهم حيثما صادفوه : في الشوارع والكنيسة ، في الجامع والكنيس ، او اي موضع اخر يحتشد فيه الناس . فاغتنت عقولهم بكلماته الاخاذة التي تناقلتها الشفاه ، وتكلم لهم عن الحياة وحقيقة الحياة :

« ان الانسان كزبد البحر الطاغي على صفحة الماء . عندما تهب الرياح ، يتبدد وكأنه ما كان . هكذا هي حيواتنا ، تزول بهبوب الموت . ان حقيقة الحياة هي الحياة ذاتها . اولها ليس في المهد ، واخرها ليس في اللحد . فليست الاعوام التي تنقضي سوى لحظة في الحياة الابدية ، وما عالم المادة وما فيه غير حلم اذا قورن باليقظة التي ندعوها رهبة الموت ... »

وقبل ان يصرف الحشد ، خاطبهم قائلا : « هناك صنفان في هذا العالم : اناس الامس ، واناس الغد . فالى اي منهما انتم تنتمون يا اخوتي ؟ تعالوا ... دعوني اتفرس فيكم لاعرف فيما اذا كنتم من اولئك الذين يفدون الى عالم النور ، ام من اولئك الذين ينطلقون نحو ارض الظلام . تعالوا واخبروني من وما انتم . »

وهنا يبلغ المهتدى ذروة في الابداع اذ هو يخاطب الجمهور فئة فئة ، متغلغلا الى نفوس السياسيين والتجار والمواطنين وزعماء الدين والصحفيين والمعلمين والحكام والكتاب والمفكرين والشعراء ، يعري بوصفه المزيفين من كل طبقة ، ويعرف الحقيقيين من كل صنف . ويؤسفني ان ضيق المجال لا يسمح بذكر كل ما نطق به المهتدى في هذا الصدد ، فاكتفي باختيار اليسير المقنع :

« هل انت حاكم ، تنظر من عل نحو اولئك الذين تحكم، ولا يعنيك سوى نهب جيوبهم واستغلالهم لمنفعتك الخاصة؟.

هل انت خادم مخلص يحب الشعب ، وساهر على شؤونهم دوما ، وغيور على نجاحهم ؟ ان كنت كذلك، فانت البركة الهاجعة في مخزن الغلال .

ام انت بعل ، يعتبر اخطاءه مشروعة ، وتلك التي تقترفها زوجته محرمة ؟ ان كنت كذلك ، فانت كوحوش مندرسة سكنت الكهوف ، وغطت عريها بالتخفي .

ام انت رفيق امين ، قرينته دوما بجانبه ، تقاسمه كل فكرة وفرصة وظفر ؟ أن كنت كذلك ، فانت كمن يسير في الفجر في مقدمة الشعب نحو سمت العدالة والعقل والحكمة العالي .

هل انت شاعر ملؤه جعجعة واصوات فارغة ؟ ان كنت كذلك ، فانك كواحد من اولئك المهرجين الذين اضحكوننا بينما هم يبكون ، ويبكوننا اذ هم يضحكون .

ام انك من الارواح الموهوبة ، وضع الاله في يديه قيثارة لتلطف الروح بموسيقى سماوية ، ويجتلب رفاقه في الانسانية الى حيث الحياة وجمال الحياة ؟ ان كنت كذلك ، فانت مشعل تنير لنا الطريق ، وشوق عذب في افئدتنا ، وتجلي السامي في احلامنا .

فهكذا البشر ، ينقسمون الى فريقين : الاول من عجزة محدودبين ، يدعمون انفسهم بعيدان معوجة ، وفيما هم يسيرون على دروب الحياة ، يلهثون كأنهم يصعدون نحو قمة الجبل ، بينما هم في الحقيقة ينحدرون نحو الهاوية.

والفريق الثاني مؤلف من شباب ، يعدو كأنه مجنح الاقدام ، ويشدو كأن حناجره فضية الاوتار ، يتسلقون نحو قمة الطود ، كأن قوة سحرية لا تقاوم تجذبهم .

فالى اي من هذين الموكبين انتم تنتمون يا اخوتي ؟ أسألوا نفوسكم هذا السؤال عندما تنفردون بانفسكم في سكون المساء . »

ثم عاد المهتدى الى منسكه ، ومكث في عزلته يقرأ ويتمعن فى كلمات المعلم الحكيمة . لقد استوعب الكثير، لكنه وجد اشياء كثيرة لم يتعلمها ولم يسمعها قط من فم المعلم . لقد آلى على نفسه الا يبرح الصومعة الا وقد ادرك واتقن كل ما خلفه المعلم كيما يتسنى له تقديمه لمواطنيه . .

وعبثا حاول المعجبون الوصول اليه ، وقد تملكهم القلق عليه . حتى ان محافظ جبل لبنان عندما دعاه برجاء ان يخاطب رجال دولته ، لم يستجب وقال : « ساعود اليكم قريبا ، مع رسالة خاصة لكل الشعب » . وطلب محافظ الجبل من المواطنين ان يحسنوا استقبال المهتدى يوم خروجه اليهم في كل موضع ومكان ، وان عليهم ان يصغوا اليه بوقار ، فصوته كان صوت « النبي »

لقد سمعت كلمات المهتدى في سائر ارجاء لبنان ، رطبعت فيما بعد في سفر على شكل رسائل ، ووزعت في انحاء فينيقيا وبلاد العرب الاخرى . كانت بعض من قبل المعلم والتلميذ،من اسفار الحكمة والمعرفةالقديمة. الرسائل نفس كلمات المعلم ، والبعض الاخر كان منتقى،

الى هذا الحد ، ينتهي الجزء الاول من الكتاب . وقد لاحظت منه ، كما لاحظ القارىء ، ان جبران قد اطلق فى اكثر من موضع كلمة « النبي » على المعلم–معلم المهتدى. وانا ادلل بهذا على دعم اعتقادي بان صوت المعلم هو احدى الولادات العربية لكتاب « النبي » والارجح انه اخرها .

الا ان الفارق بين كتاب (المصطفى) وسفر (المهتدى) هو ان المصطفى يخاطب الجمع اجابة على اسئلة الناس من كل طبقة وفئة ، بينما المهتدى يخاطب الحشد بصورة عامة باقوال المعلم وحكمته ، معالجا كل ما يهم الناس معرفته من شؤون حياتهم واخرتهم ، مضيفا اليهما ما استزاد من حكمة وعرفان خلال انقطاعه الى التأمل والتفكير في عزلته .

ومع ما في الكتابين من فوارق وتباين ، فانا اعتبرهما من معين واحد ، وكتوامين من رحم واحد وصلب واحد: عقل المصطفى اوسع وروحه اعمق ونفسه اخصب ، اما معلم المهندس فخياله انشط وازهى . لكن قلب كل منهما كبير وكبير وفي الوسع نظير .

اما الجزء الثاني ، وهو الاهم ، فيكون ثلثي الكتاب حجما ، ويشتمل على عشرين فصلا ، كثيرة الشبه بفصول « النبي » ، كل فصل يعالج ناحية او اكثر من حياة الانسان وعواطفه وافكاره وفنونه : الحياة ، ضحايا شريعة الانسان ، الزواج ، العقل والمعرفة ، الموسيقى ، الحكمة ، الحب والمساواة ، الطبيعة والانسان ، الامل والمعاد .

فمما يخاطب به ضحايا شريعة الانسان : المسجونين ، الجنود المدفوعين الى ساحات القتال بدوافع طمع الحكام والنساء الجميلات اللواتي يسقطن فريسة لغلمة الاثرياء، الشعراء المنسيين من بني جلدتهم ، قوله : « . . فاطمئنوا ايها الضعفاء ، اذ هناك قوة كبيرة خلف هذا العالم المادي قوة كلها عدل ورحمة واشفاق ومحبة .

« انتم كشجرة عارية ، احنتها ثلوج الشتاء ، سيحل الربيع ويكسوكم بحلته الخضراء ، وستزيح الحقيقة نقاب الدموع الذي يحجب ضحكاتكم . اني اخذكم نحوي يا اخوتي المضطهدين ، اني احبكم وازدري ظالميكم . »

ومما يقول في الزواج : « هو اتحاد شيئين علويين ليلد الثالث على الارض . انه اندماج روحين بحب عارم لازالة التباعد . . انه الحلقة الذهبية فى سلسلة ، اولها نظرة واخرها الابدية . هو الغيث النقي من سماء طاهرة لتخصب وتبارك حقول الطبيعة القدسية .

فكما ان النظرة الاولى من عين الحبيب كبذرة تذر في القلب البشري ، والقبلة الاولى من شفتيها كزهرة على شجرة الحياة ، فما اتحاد الحبيبين في الزيجة الاكالثمرة الاولى لاول زهرة من تلك البذرة . »

وقوله في ابدية الانسان : « مثل عمود من نور ، لمحت الانسان منتصبا وسط اطلال بابل ونينوى والاهرام وبومبي ، وفي وقفته انشد نشيد الخلود :

« لتأخذ الارض ما لها

« فانا الانسان ، ليست لي نهاية . »

وعن العقل والمعرفة قال : « عندما ينطق العقل،اصغوا اليه ، تكونوا في امان . انتفعوا من منطقه ، تكونوا في درع . لان الله لم يمنحكم احسن من العقل دليلا ، ولا اقوى من العقل حصنا .

ولكن اذكروا انه ولو كان العقل بجانبكم ، فهو غير مجد من دون عون المعرفة . فمن دون شقيقته المعرفة، يكون العقل كأملاق دون مأوى ، والمعرفة من غير العقل، كبيت بلا حارس . وحتى الخير والمحبة والعدالة قليلة النفع اذا لم يكن ثمة عقل ايضا . »

وقد راقني منه بصورة خاصة فصل عنوانه«المدينتان»، فترجمته كاملا : « رفعتني الحياة على جناحيها واقلتني نحو قمة جبل الشباب ، ثم اومأت واشارت الى خلفها . تطلعت الى الوراء ، فلمحت مدينة غريبة تصاعد منها دخان قاتم عديد الالوان ، ينتشر ببطء كأشباح . وكادت غمامة رقيقة تحجب المدينة عن ناظري .

وبعد هنيهة صمت ، هتفت : ما هذا الذي ارى ايتها الحياة ؟ فأجابت الحياة : هذه « مدينة الماضي » . انظر

الى الدواة

●

أمطري، يا دواة، في كلِّ أرضٍ ، واسكبي رحمةً ولطفاً وحبا
أنت بحر الإلهام في جانب الطرس ، ـ ولله حين جاش وعبا !
أنت أمُّ الغيوث ، بورك فيها ، لم تدع في جوانب الأرض جدبا
أنت «حقُّ الشذا» وفي كلِّ فجٍّ ناشقٌ يحمد الذي منك هبَّا
أمطري في العقول ، ليس غمامٍ ، أو حياض ، أعمَّ خيراً وخصبا
وأمدِّي الأحباب في لوعة البعد، وسيلي لهم حنيناً وعتبا
وابخلي ، يا دواة ، بالنُّقط السُّود ـ على كاتبٍ يسطِّر كذبا
وأفيضي مدادك الصفو للسِّلم ، ـ وغيضي لمن يخطِّط حربا
واجعلي الناس في المداد سوآءً ، وأقيمي لهم في البعد قربا

امين نخلة

اليها وتأمل ، ونظرت الى المشهد المدهش ، ولاحظت اشياء ومشاهد عدة : قاعات مشيدة للعمل ، قائمةكالمردة تحت اجنحة النعاس ، معابد من الكلام ترفرف حولها ارواح تصرخ يائسة وتنشد اغاني الرجاء في آن معا . رأيت كنائس شيدها الايمان وهدها الشك . تطلعت نحو منائر الفكر ترفع مشاهديها مثل اذرع السائلين الممدودة، وشاهدت شوارع الرغبة ممتدة كالانهار عبر الوديان، ومخازن الاسرار يخفرها حراس الكتمان، وتسلبها لصوص الافشاء ، ابراج القوة اقامها البأس وهدمها الخوف . مزارات الاحلام ، زخرفها الرقاد وحطمتها اليقظة . اكواخ مهملة يسكنها الضعف . جوامع الانفراد ونكران الذات ، معاهد العرفان مضاءة بالذكاء ، ومعتمة بالجهل ، وحانات الحب حيث العشاق سكارى وحيث الخواء يسخر منهم، ومسارح على الواحها مثلت الحياة مسرحيتها ، وحيث الموت يختتم مآسي الحياة .

هكذا هي مدنية الماضي ، قصية في الظاهر ، دانية في الواقع ، وتبدو ـ و لو بجهد ـ من خلال الدخان القاتم .

ثم استدارت نحوي الحياة وقالت : اتبعني ، لقد مكثنا هنا طويلا . فأجبتها : الى اين ايتها الحياة ؟ اجابت الحياة : اننا ذاهبان الى مدينة المستقبل فقلت : الا رفقا بي ايتها الحياة . فقد كللت ، وبليت قدماي وفارقتني قوتي .

لكن الحياة ردت : سر قدما يا صديقي . فالوقوف جبن . انه لمن الخطل التطلع ابدا الى مدينة الماضي . ها انظر فمدينة المستقبل تومىء » .

هذا ما شئت وما هو بمقدوري تقديمه الى القارىء العربي ضمن هذا المجال عن هذا الاثر الجبراني الجديد ، وهو بالنسبة الي بعض واجب في عنقي ، كالواجب المفروض على التلميذ تجاه معلمه .

بغداد — **يعقوب فرام منصور**

جوليا طعمة دمشقية

بقلم نسيم نصر

•

عاشت حياتها مسترفدة قول الشاعرة الاميركية « املي دكنسون » : « ان الجندي الذي يعيش بعد المعركة لايدرك معنى الانتصار بقدر ما يدركه رفيقه الجريح ، وهو يعالج سكرات الموت ، ويسمع صوت البوق من بعيد ، ويعلم انه لن يعود الى آله وصحبه » .

وقد كانت ترى « ان لذة الحياة فى الرغبة فى العمل ، وان السعادة الحقيقية هي فى الاجتهاد والعمل ، وفى رغبة القلب فى بلوغ ما لا ينال » .

انها امرأة من البناءات القليلات اللواتي كن بحق انرائدات الى الغد النسوي الافضل . كان طلوعها على الحياة صبية تنهل من منابع المعرفة ، وتضج فى ذاتها قوى انسانها المتحفز الى امر كبير . فاذا بها ، وهي فى حدود العشرين ، توطىء المنابر للمرأة فى بلاد ، كانت انئذ ، فضيلة المرأة الكبرى فيها الاستخفاء عن العيون والضن بالكلمة على الاسماع ، ولا سيما اسماع الرجال . ففي عام ١٩١٠ تعاقبت كلماتها باكورة خطابية معجبة ، على منابر فى بيروت وطرابلس وبحمدون . اما الخطبة التي احدثت تأثيرا بالغا وخلقت فى دنيا المرأة ، فى لبنان ، امرا بكرا ، فهي خطبتها فى حفلة جمع التبرعات لاتمام بناء مصح للمصابين بداء السل ، تلك الخطبة التي تجلت فيها موهبة جوليا المنبرية رائعة ، وتألقت بين حروفها انسانية صاحبتها صافية خلابة .

ولقد جاء فى اعقاب هذه الجراة الخطابية ، ان تعرف اليها بدر دمشقية سنة ١٩١٣ معجبا بخلقها وادبها ، فوصل حياتها بحياته بواصل الزواج ، فكان زواجهما ثورة على التقاليدوتمردا على واقعالتفريق بين مسلم ومسيحية.

وهاكم بعض ما قالته احسان دمشقية فى هذا الزواج :

« اجل كانت جوليا فى زواجها هذا ثائرة متمردة لانها ادركت ، ببصيرتها الحادة ، ان الاسرة المثالية ، التي تجمع بين الرجل والمرأة ، تقوم على الحب والاعجاب والاحترام المتبادل ، وعلى الشعور بضرورة توريث ثقافتهما وعاداتهما الطيبة الى ابنائهما، وقد كان هذان المبدآن مفقودين فى الاسرة اللبنانية ، حيث ينفتح العقل من جانب الرجل ولا ينبلج من جهة المرأة لانعدام شخصيتها التام». .

«فهمت جوليا انها المسؤولة عن حياتها ، وهذا يعني انها مدعوة الى ان تبنيها كما تريد هي ، لا كما يريد الرجل . وقد كانت ايجابية وجبارة فى تمردها ، جبارة لانها احتجت باعتبارها انسانا على الحالة التي اناخها المجتمع اليها ، وايجابية لانها لم تثر لاجل الثورة فقط بل سلمت لبنات جنسها مشروعا تقويميا رسمت فيه الخطوط الاساسية لحياة زوجية شرعية » .

ومضت جوليا فى النهوض باعباء الامومة نهوضا مضطلعا بمسؤوليات العائلة الى اقصى ما يكون الاضطلاع الفاضل الحصيف . ولكن معاني رسالتها الزاخرة فى قرارة نفسها وصميم وجدانها ، لم تلبث أن خرجت الى دنيا المرأة مهام اجتماعية واعمالا صحفية ومساهمات خيرية . فهنا التفاف فى نخبة من النساء عرفت بـ « جامعة السيدات » ، وهناك مساهمة فى اعمال خيرية ، وهنالك منابر صحفية تنشر فيها رسالتها عظيمة الاثر جليلةالقدر.

ففي عام ١٩٢١ انشأت جوليا دمشقية مجلة اسمتها « المرأة الجديدة » جسدت فيها اراءها ونصائحها وتعاليمها حروفا وضاءة جعلت عنوانها : « الامة نسيج الامهات فعلموهن وهذبوهن لينهضن بكم الى اوجالسعادة والمجد ». وعرفت القارئات فى « المرأة الجديدة » مدرسة تدخل البيوت بشكل مستحب وروح قوية ، وعرف القراء فيها صوتا مؤذنا بدخول المرأة معركة الحياة دخولا واعيا حكيما. ومن اخذ بين يديه ، اي عدد من اعداد هذه المجلة وقع فيه على مادة صحفية بالمعنى الحديث لصحافة الفكر والاجتماع والتربية . والمقال الافتتاحي الذي كانت تكتبه جوليا « الى ابنة بلادها » ، فى مرأتها الجديدة ، كان دائما حقل اختبار ومعرفة يجني منه المطلعون عليه الثمار التي تحسب من صميم غذائهم ، ويعرفون فيه التوجيهالصحيح لنساء الغد ، الذي كانت الاديبة الاجتماعية تدعو اليه . جعلت عنوان افتتاحيتها الدائم : « الى ابنة بلادي » ، واذا خرجت عن هذا العنوان فلكي تكتب الى ابن بلادها . ولعل خير ما نجتزئه فى هذا الصدد ، هو بعض ما ورد فى عدد تشرين الاول سنة ١٩٢٤ .

قالت بعد اخذ ورد : « انني متفقة كل الاتفاق فى الرجل العصري والمرأة العصرية ، واعتقد مثلك انه يلزمنا تغيير تدريجي فى الاخلاق والعادات ، مع الاحتفاظ بكثير من القديم المفيد الذي لا غبار عليه ، ثم انني مثلك لا اريد الطفرة بل جل ما ابتغيه تحطيم القيود الجائرة التي قيدتني بها تقاليد الجهل لاتتمتع مثلك بحرية الوجود . واكتفي أن تحسبني روحا لا متاعا . اكتفي ان تعتبرني مخلوقة حساسة ناطقة لا بهيمة . اكتفي ان امشي واياك الى الحياة السعيدة مشي الشريك مع الشريك .

انا لا اريد آن انازعك الرئاسة . هي لك ولتبق لك،فان نصيبي من الواجبات ، فى الحياة العائلية ، لا يسمح لي بالتفرغ لها ولشؤونها . ولكن دعني اشعر اني جزء منك واقنوم ثان لك ، لا متاع تتصرف به مستبدا كيف شئت ، ولا جارية لم اخلق الا للمطبخ والبيت والخدمة والامومة .

ان الامومة من اقدس واجباتي ، وخدمة عائلتي من اطيبها على قلبي ، ولكن دعني احس ان لذلك قيمة في عينيك ، وانك تقدر مجهودي الجسدي والعقلي قدرهما ،

وتدرك انهما لا يقلان عن مجهودك فى الشؤون الاخرى .

اطلب منك هذا . واطلب منك ان تتذكر ان لي عقلا لم يهبنيه الله عبثا ، ومن العدل ان يناله من التهذيب ما ينال عقلك ، وان يفكر ويدرك كما تفكر وتدرك .

انا اطلب منك أن تساويني بنفسك بقدر ما تسمح الطبيعة بذلك ، ولست طامعة قط بالتفوق عليك ، ولكن اذا وفقني الله الى ما يفضل فكرك او عملك او تدبيرك ارجو منك ان لا تبخس مجهودي حقه لمجرد صدوره عن امرأة ... » الى ان قالت :

« أن اقصى ما نطلبه ، نحن النساء ، هو مساواتنا بالرجل فى كل ما يؤهلنا له تكويننا العقلي والجسدي واعتبارنا نفوسا حية لا متاعا » .

ولكي تلم باكثر من ناحية لنشاط هذه المراة الصحيحة النظرة الى الحياة ، السليمة القوى الادراكية للخوض فى مشاكل العائلة والمجتمع ، على الرغم من المرض الذي اقعدها طريحة الفراش مدى ربع قرن ، لا بد لنا من ان نورد لها مقتطفين من رسالتين : اولاهما الى ابنتها ، وقد بلغت الثامنة عشرة ، والثانية الى حفيدها ، وقد بلغ السابعة عشرة .

قالت تخاطب ابنتها بعد ان اوصتها بالحفاظ على حدود الاداب الجنسية فى شيء من التشدد والالتزام :

هذا لا يعني اني اريدك ان تبعدي عن معاشرة الرجال الادباء ومحادثتهم ، كلا ! بل بالعكس فاني اود من كل قلبي أن تنعمي بالحرية التامة ، وقد دخلت السن التي تؤهلك لذلك ، ونلت من التربية والتعليم قسطا يؤهلك لهذه الحرية . وتاكدي ، يا سلوى ، ان الروح القوية والنفس الابية لا يمكن الا ان تسطو على محدثها او من يقترب اليها ، فشعاع الاخلاص المزوج بالادب والحشمة لا يمكن ان يختفي او يخفى حتى لدى العميان او الاشقياء .

علمي بنات جنسك ان الحرية الادبية المسلحة بالعفة لهي لذة الحياة كلها . لا تخافي ان تضعي يدك فى يد اي رجل حتى ولو كان شقيا ، فبقوة شخصيتك وسمو اخلاقك يجب ان ترفعيه الى السماء العليا ولو للحظة واحدة فى حياته » .

وقالت فى خطاب حفيدها : « انك ولا شك ، على علم ان نشاط الشباب كان وما يزال مغريا ، كما انه رجاء الكون ، ومطمح انظاره ، ولكن علينا بنفس الوقت الا يغيب عن اذهاننا ما يرافقه من اساليب اللهو والعبث ، والملذات الجسدية والمادية التي تطوح بالعدد الاكبر من شباب اليوم ، فتعمي ابصارهم لدرجة توهمهم بانهم ، هم وحدهم ، اسياد نفوسهم ومصيرهم ، وان لهم الحق للعب من جميع موارد الحياة ، غثها وسمينها دون رادع او رقيب ، وهم يحسبون ان الدنيا وما فيها وما عليها تحت اقدامهم .

وهكذا تتضافر ، كما هو يجري اليوم ، جميع المغريات وما اخطرها ! لانتزاع الشباب ، من بيئته الصالحة ومما يكمن فى اعماقه من ميول صالحة الى مهاوي الغواية والفساد !!! »



جوليا طعمة دمشقية

•

ولعل خير ما نختم به تعريفنا بهذه الاديبة المصلحة مقتطفات مما قالته فيها كنتها الانكليزية قرينة الاستاذ نديم دمشقية :

« منذ اللحظة الاولى لالتقائنا بدات علاقتنا وصداقتنا ، وتعلمت منها اثمن دروس حياتي ... فآمنت بالانسانية وبالمراة وبالشرق ، لا كخرافة ، ولكن كحقيقة .

علمتني حماتي سر الشرق الاكبر ، وهو الايمان ، الذي تحرك الجبال حبة خردل منه . فان حماتي ، وهي فى السبعين من عمرها ، ومقعدة فى سريرها ، لا تزال شعلة من الحيوية والنشاط ، تقرا وتكتب ، وتملي رسائلها ، وتتابع اخر الحوادث وترسل فى طلب احدث الكتب والمؤلفات .

وقد عرفت من حماتي ، ما لم يعرف ، عن قصة كفاح المراة الشرقية وتضحياتها ... وبذلك عرفت ان كل نساء الشرق لسن مثل شهرزاد ، وان رجال الشرق ليسوا ايضا مثل شهريار » .

هذه امراة من لبنان كانت مدرسة لجيل ورائدة لنهضة ، وقدوة زوجية وادعة الجانب رفيعة الصفات .

نسيم نصر

مساء صوفي

كم احب الارتماء
بأساي المستفيق
عند شلال عميق
حينما يبكي الضياء
بدموع من لهيب
في جنازات المغيب

آه ما اقساك يا موت النهار
بين اكداس الصور
وتهاويل الرموز !
آه ما احلى الفرار
من كآبات الضجر
عندما يزحف في الشرق القمر
وسط امواج الضباب
كسلحفاة عجوز !
آه ما اشهى الفرار
عندما ينعق بوق الذكريات
كغراب
في كهوف الامنيات
جارحا قلبي ، وصمتي ، والمدى
بصدى عمر سدى!

قلق مستغلق يمتص اعصابي الفتية
فبقلبي مثل رعشات واهات العشيه
وهي تذوي كالورود
قلق يسأل عن معنى الوجود
عن اساطير الخلود
عن غيوم سربلتني بالجحيم
عن قيود كبلتني من قديم
منذ ان ضعت على هذا السديم

آه لو اني ضوء لا يزول
يحمل الدفء الى ثلج الحقول
والطمأنينة والفجر الى ليل العقول
آه لو اني روح ! آه لو اني فكرة
كالشذا ، كالشمس حره
ترتمي شوقا ، وايناسا ، وطيبه
بين ارواح وافكار حبيبه
عند جزر ناضرات لا تعد
فوق بحر ابدي لا يحد
تحت افق قزحي ، كل لون فيه باسم
يتهادى بالنسيمات النواعم
حيث تحلو لي ، كطير البحر ، اجواء الشرود
حيث لا يأس ولا فقر ولا موت يرود
حيث شط الخلد ازرق
في رؤى الاحلام يغرق
وبعطر الفرحة البيضاء يعبق

عاجزا ما زلت امضي
واغني في السواد
ملصقا قلبي بأرضي
واناشيدي حداد .
عاجزا ، ما زلت اهوى الانقياد
للدجى ضلعا فضلعا
والنجوم الصفر تسعى
عبر مجهول الرماد
واحاسيسي صلاه
تشتهي
لو تنتهي
عند الاله .

دمشق كمال فوزي الشرابي

اليوم الثالث

بقلم حليم بركات

الصمت في الشوارع الضيقة . ابواب الحوانيت والمتاجر تنغلق فتتجاوب اصواتها الحديدية الجافة الصدئة . موكب الموت سيمر بعد نصف ساعة في وسط دير البحر . لاول مرة يشاهد تسعة نعوش تحمل معا . الناس يتجمعون على الرصيف ليتفرجوا على الموت . هو مثلهم سيتفرج على الموت . كان نائما بعد مغامرته مع لمياء عندما كان اصدقاؤه يواجهون الموت ليلة امس بعد ذلك فكر ان يهرب . لقد لامست اصابع لمياء الوتر المجهول في نفسه . لم يعرف حتى الصباح ان تسعة منهم قد استشهدوا . الخشوع يملأ الوجوه . الرهبة تملا العيون. ويقف على الرصيف ينتظر موكب الموت . مثل بلاط الرصيف ينتظر ، مثل ذلك الطفل الذي يلعب هناك وكان شيئا لا يحدث في العالم. منذ برهة مرت فى باله ناهدة .. فتمنى ان يصادفها هنا وان لا تكون ليليان قد سلمتها الرسالة . لماذا كتبها ؟ لماذا يقف على الرصيف ؟ ماذا يفعل ؟ ينتظر ليتفرج على الموت . تركهم يحملون الاسلحة في الجبال الوعرة وجاء باكرا الى دير البحر ليرى ناهدة .. يعيش مع جسد لمياء .. ليفكر بالهرب .

وسمع صوتا مبحوحا يصرخ بالناس ان يذهبوا لملاقاتهم في اول البلد . ويظل يحدق بمصدر الصوت عجوز يتجرجر على عصاه، سرواله العتيق يتجرجر معه كذلك . وجهه الاسمر المكتنز بالتجاعيد وشارباه الكثيفان المغبران . ان لدير البحر وجها . الجذور تغور في الارض . ويمشي مع الناس . في بحة صوته عالم غريب من الحنان والمحبة . ويحس كأنما جسده يتقلص ويرتجف ويبرد فينتصب شعر جسده . كأن تيارا حرك وجوده . لا شيء يفصله عن العالم الان. انه ملتصق بالرصيف والناس والموت وعصاة الرجل العجوز ووجهه المكتنز بالتجاعيد . جذور

* * *

الضجر واليأس تنقلع من تراب صدره . تحت ركامات الموت في هذا الشعب انتفاضة حياة رائعة . من ضمنها يمكن ان يخلقوا من جديد تراه يقصد ما قال عن نعمة الموت . والد حبيبته كان اول من اعاد الى نفسه الثقة . الموت يحرك وجوده ويزلزل اعماقه فتتشقق القشرة السميكة التي تفصل بينه وبين الاخرين . تراه ينسى شوارع بلاده المليئة بالعفن والاصنام والوجوه المبتسمة بفراغ والبطون المندلقة الى الامام والرؤوس المقبوضة بالخرافة والوهم ؟ ينسى التجار وهدى ؟

ويسير على مهل . الناس يتحدثون عن بطولة فريد . كيف نزع الخوف من صدور المجاهدين فتدفقوا الى الموت واستشهدوا ببطولة . يعرفهم واحدا واحدا . الموت يعصف به . الافكار والمشاعر تيارات تتداخل وتنجرف في اغواره تحمله معها كما تحمل ورقة يابسة . ليته لم يعرفهم ؟ لماذا ليته لم يعرفهم ؟ ليهرب من رهبة الموت؟ خالد قبل امس كان يدربه على استعمال الرشاش. وتراءى له يركض ويرتمي في حفرة تطل على الوادي الجنوبي . ترتفع في اذنيه ضحكاته وهو يروي حادثة طريفة .

يسير مع جموع الناس المتدفقة بصمت نحو اول البلد . عبد الجليل مهموك يروح ويجيء . يريد كل انسان ان يراه . يقتربون من الموت يقتربون من البحر . الغيوم تتصاعد الى قلب السماء . غدا تمطر . هذه الوجوه غيرها في اي وقت اخر . انها هادئة شاحبة متأملة يغمرها الحزن المغسول بملح البحر الصاعد مع الغيم الى قلب السماء الهابط مع المطر الى جذور الارض . وجوه اغلقت فيها ابواب المحلات التجارية. المعاني تصخب فيها بهدوء . انها تلتصق بالضمائر . ترى يرى ناهدة فجأة بين هذه الجموع ؟ كيف يكون وجهها ؟ لا يود ان يراها . يود لو يراها . اصوات تتجاوب في هيكل صدره وفي وجوه الناس حوله . وعجب انها تؤثر به .. تمس شيئا مجهولا في ادغال وجوده ؟ لايستطيع ان يهرب من ثقافته . تعلم ان يحس بمسؤولية تجاه العالم ! لماذا ؟ هل يستحق ؟ كذلك تعلم ان يعيش بانحلال. ويرتفع صوت من اصوات المجاهدين يجلجل ثانية : صفوفا الى جانبي الطريق .

وبدأ الناس يصطفون . فؤاد وعبد الجليل في الصف المقابل . عبد الجليل ما زال يحمل بندقيته يروح ويجيء . الصفوف تنمو وتمتد ويرتفع الصوت : لا تتركوا الصفوف حتى يمر الموكب .

وتبدو طلائع الموكب . فرقة من المجاهدين تتقدم بسلاحها الكامل . مازالوا في لباس المعركة . البنادق ترتفع بكبرياء والرصاص يلف الصدور نبضات قلبه تسرع . عيونهم تحدق في البعيد . لا شك في افاقها ، مؤمنة مصممة مقاتلة . لا يرى عيني نفسه . انها بلا ضجر على الاقل . تتطلعان بالموكب . اكاليل تتقدم خطوطا بعيدة . فرقة ثانية من المجاهدين تطل . البنادق ترتفع

هذا فصل من رواية بعنوان « ستة ايام » تصدر قريبا في بيروت . تتناول الرواية حياة بلدة رمزية اسماها المؤلف « دير البحر » تواجه عدوا من الخارج. انها تقف امام الموت والاستسلام – كل ذلك في جو من الرعب والتحدي والبطولة والضجر .

انتقام امرأة

قفي مــا كفاك ، قفـي / رميت ولـم تـأسفي
كـأن جبـالا هــوت / جـذاذا عــلى موقفي
الـم تعرفـي هـول مـا / جنيت ، الــم تعرفـي
نـزلت بـكلتـا يـديك / عـلى القلب كـي تشتفي
فغلغـل فيـه السنـان / وكـف ، ولـم تكتفي
فـواهـا لـه نـازفـا / عـلى جنبـه المتلـف
وواهـا لـه دافقـا / بـاناته الـذرف
لقـد كنـت اولـى بـان / ترقـي وان تعطفـي
وان تـنصفي ان خـلا / زمانـك مـن منصف
ليهنيـك انـي انحنيت / مـن الالـم المسرف

الاسكندرية — **احمد محمود عرفه**

بكبرياء والرصاص يلف الصدور . ايدي الناس مسبلة كالبنادق والعيون تبرق كالرصاص . اكاليل جديدة تتقدم خطوطا بعيدة . اطل النعش الاول يرتفع على الايدي . من هو؟ لا يدري . النعش الثاني . النعش الثالث .

رعشة في صدره . جسده يقشعر . شيء ما يخطو في قلبه.. في عروق صدره .. في حلقه . غيمة تتصاعد الى سماء عينيه. حلقه ينقبض. النعش الرابع يظهر. النعش الخامس فالسادس وتبرق الدموع في زوايا عينيه . تنحدر ببطء وهدوء. تنحدر بسرعة . يداه مسبلتان . جبهته تنحني . التراب بلون الغيوم. ويطل النعش السابع فالثامن فالتاسع .

تنهمر دموعه .. تلتصق بخديه وجفونه وولولة النساء على الشرفات ووجوه البعيد الدافىء . قلبه يهبط الى عالم سحيق عميق قاتم حالم نبيل في صدره . النعوش ترتفع نحو ولولة النساء .. تهبط ،ترتفع. تهبط ، وتميل الى اليمين .. تميل الى اليسار . ثم ترتفع الى الزهور المترامية من الشرفات والنوافذ والسطوح .. تهبط .

وتسير صفوف الناس خلف النعوش . رؤوس منحنية بصمت ، والاقدام تترامى على التراب بـألم وبغير انتظام . يسير معهم بألم ويود لو يسير بانتظام .

انحاد الموكب نحو الهضبة الجنوبية سار في الزقاق الضيق . توقف . وصلوا الى المقبرة . مكان جديد لم يقبر به احد من قبل . هذه التلة للشهداء فقط . العالم هادىء مثل سنابل القمح المليئة بالحبوب . ويغمض عينيه . ينفصل عن كل شيء يتحد بكل شيء .. ليته ..

ايها الشهداء .

والتفت الى حيث ارتفع النداء . فريد يقف على صخرة صغيرة تشرف على الناس والقبور . يحيط به عدد من وجهاء البلدة . بينهم عبد الجليل برهة من الصمت تمر قبل ان يرتفع الصوت ثانية متقطعا مخنوقا متوثبا، ايها المجاهدون ، ايتها البطولة التي انتصرت على الموت ، اننا هنا نحتفل بانتصاركم .

وينطلق الرصاص دراكا من رشاش : رصاصة . اثنتان . ثلاثة. اربع . خمس . ست . سبـع . ثماني . تسع . فتجاوب اصداؤها الرهيبة في الوادي وصدور الناس. رهبة غريبة ترتفع في اعماقه وتتوثب فجأة بلهفة عندما ينطلق الرصاص رشا فينجرف في تيار يرتفع به .. يهبط . وتتوقف الطلقات فيتتبع اصداءها البعيدة التي تخفت .. تخفت .. لا تتلاشى . انين مكتوم يقبل من فوق البحر .

ايها الشهداء .. انتم البرهان الاكيد على اننا نستطيع ان ننتصر. فينا من يعرف كيف يموت ببطولة. واسمى ما يمكن ان نعاهدكم عليه اننا سنخوض المعركة الاخيرة مهما كان الثمن

وينطلق الرصاص دراكا .. رصاصة .. اثنتان .. ثلاث .. اربع .. خمس .. ست.. سبع.. ثماني .. تسع . ثم رشا يجرفه في تيار يرتفع به .. يرتفع ويهبط فجأة عندما تتوقف الطلقات فيتتبع اصداءها البعيدة تخفت ..تخفت.. لا تتلاشى .

ويرتفع صوت فريد : انتم تعبير رائع عن الحرية .. فقد تحررتم من الانانية وانطلقتم الى قمة الانسان فينا ..

وادرك سهيل انه لم يكن يصغي. يلاحق افكاره المتشابكة ويجد انه بدا يشق طريقه بهدوء بين كتل الناس. داس قدما حافية . صرخ :

ــ اسف .

لا يدري الى اين . يريد ان يبتعد فقط . لماذا يحس بالضياع كلما وجد نفسه يسمع خطابا . لما ينفر ؟ انه يكره ان يضيع في المجموع . واسرع عندما اخترق الكتل البشرية . لماذا يسرع ؟ الى اين ؟ لا يدري . يحس احيانا بشوق الى الضجر . لا يستطيع ان يعيش بلا ضجر . لا يستطيع ان يعيش مع الضجر . الرصاص ينطلق دراكا فتتجاوب الاصداء في الوادي وهيكل صدره

يسرع لا يدري الى اين .

حليم بركات

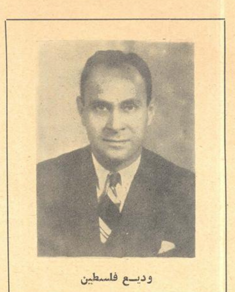

روحية القليني

صلاة قلب

●

ادعوك في جنح الدجى رباه … والناس تنعم في سنا الاحلام
ادعوك ساهرة تسيل مدامعي … فوق الوساد دعاء الاسترحام
ادعوك هل لي غير نورك هاديا؟ … حار النهى وتعثرت اقدامي !
انت الذي الهمتني وهديتني … فمشيت في دنياي بالالهام
كم ذا لجأت اليك اشكو حيرتي … ومتاعبي من قسوة الايام
فبعثت نورك يا الهي راحما … ومحوت بالنور الرحيم ظلامي
وبلمسة قدسية علوية … انقذتني من حيرة الاوهام
هل يرحم الناس الضعيف كرحمة … وسعت جميع الناس بالانعام ؟
هل يغفر الذنب الكبير سوى الذي … خلق الحياة تطيف بالاجسام؟
هل لي ملاذ غير حصنك خالقي … اسعى اليه بلهفة وهيام
اسعى اليه ولي رجاء ملهم … وصلاة قلبي شافع وصيامي
وتبتلي لك وابتهالي في الدجى … بدموع ايماني وهمس كلامي
اني لجأت اليك وحدك سيدي … من لي سواك ابثه آلامي ؟!
ما الناس ؟! ان الناس وهم باطل … انت الحقيقة ، ملجئي ومرامي
يا رب انهمو سراب خادع … ما لي الوذ بهم وانت امامي ؟!
تقسو الحياة وليس غيرك راحما … وتصون ماء الوجه في اكرام
واذا مرضت فقدرة علوية … تشفي جراحاتي ومر سقامي
واذا عجزت عن المسير تمد لي … يدك الرحيمة آخذا بزمامي
واذا تعقدت الامور تلهفت … عيناي للنور البهي السامي
فلحظتني بعناية ورعاية … واعدت لي صفوي وعذب وئامي

مصر الجديدة — روحية القليني


وديـع فلسطين

وديــع فلـسطــين

بقلم انور الجندي

الاستاذ وديع فلسطين : كاتب خصب الانتاج ، موفور الثقافة ، عميق اوجه الفكر ، من ابناء تلك المدرسة الوسطى التي تجمع بين القديم والجديد وثقافة الشرق والغرب على هدى وبصيرة . وقلمه لا يتوقف عن الانتاج ولا يكف هو عن العمل في ميدان الفكر العربي باصالة وايمان وعمق . يكتب في الصحف العربية والافرنجية . ويؤلف الكتب . ويترجم الابحاث التي تحتاج اليها ثقافتنا العربية في هذه الفترة الدقيقة من حياتنا الفكرية التي تحتاج الى مزيد من جهود المفكرين والباحثين .

وقد صدر له اخيرا في القاهرة كتاب عن فن من فنون الصحافة لم يترجم فيه من قبل ، على كثرة ما ترجم عن فنون الصحافة المختلفة في الفترة الاخيرة . ذلك هو (استقاء الانباء فن) حيث يرسم الكتاب المبادىء العامة لاستقاء الانباء وروايتها وتحريرها ويضرب الامثلة العملية لتطبيق هذه المبادىء .

والكتاب يمتاز بانفراده بالبحث عن « فن الانباء . وصناعة الخبر » وهو ليس اول ما ترجم الكاتب ، الذي عني من قبل بترجمة عدد من الكتب في فنون مختلفة لعل ابرزها ترجمته لمسرحية « الاب » للكاتب السويدي اوجست سترندبرج كما ترجم عددا من القصص والفصول التي نشرتها الصحف خلال خمسة عشر عاما وان لم تجمع بعد في كتاب .

ووديع فلسطين « مفكر » منوع الخصائص ، متعدد الجوانب . وهو هنا مترجم بارع قد احاط باللغتين العربية والانجليزية احاطة دقيقة . قد اتيح له حظ وافر منهما يوحي بالاطمئنان الى قدرته وعمقه ودقته في نقل منطوق الاثار التي يترجمها مع المحافظة على روح كاتبها واتجاهاته . وهو واحد من مترجمينا المبرزين الذين استطاعوا ان يترجموا الى العربية ومنها في سهولة واضحة .

ويرجع هذا في الاغلب الى انه واحد من ابناء «مدرسة المقتطف » هذه المدرسة البعيدة الاثر في تاريخنا الادبي المعاصر ، والتي حملت لواء ترجمة العلوم والاثار الفكرية الى الادب العربي خلال ثمانين عاما . فقد اتصل منذ صدر شبابه بالاستاذ فؤاد صروف رئيس تحرير المقتطف ـ ومحرره مع عمه الدكتور يعقوب صروف ـ خلال اكثر من اربعين عاما . ولعل اتصاله في مطلع شبابه بمدرسة المقتطف هو الذي رسم مخطط حياته الفكرية الى اليوم والى امد طويل . ولعل هذا هو الذي كون له هذه الثقافة المنوعة الممتزجة القائمة على ذلك الاسلوب التقريري والتي تجمع بين الكتابة في الادب والاقتصاد والعلم ومسائل الفلسفة وعلم النفس .

واذا كنا الان في صدد كتاب وديع فلسطين المترجم فانه من الخير ان نعرض لمذهبه في الترجمة الى اللغة العربية كما رسمه في كتابه (قضايا الفكر فى الادب المعاصر) ويتلخص في « ان باب الترجمة مفتوح على مصراعيه . ليس عليه حراس ولا عسس يلجه كل من شاء دون ادنى تحرج او تردد . والكتب العربية الجديدة والقديمة محيط لا قرار له . وهي بمادتها السمينة تغري لا بالقراءة وحسب بل وبالترجمة ايضا » . ثم هاجم الترجمات الركيكة التي لا ترتفع الى المستوى الشافي شكلا وموضوعا . والتي تبدو عليها سمات العجمة وتشويه اخطاء في النحو والصرف مما يورث عدم الثقة في الكتاب المنقول . كما ندد باختصار الترجمات اختصارا يبعدها عن استيفاء شرائط الامانة الادبية مما يضطرب معه السياق وبذلك تكتنف الخلخلة جميع فصول الكتاب فضلا عن الاغلاط الخاصة بالاسماء والاشخاص والاماكن والمواقع .

ويرد ذلك كله الى فقر فى الخبرة اذ انه لا يمكن تملك ناصية الترجمة الا بالمران الطويل سنوات عديدة شأنها فى ذلك شأن غيرها من فنون الحياة لا يجيدها المرء الا بالمعاناة والمصابرة والمجالدة . وكذلك يرجع النقص في الترجمات الى افتقار الى الالمام باللغتين اللتين ينقل من احداهما الى الاخرى . وهو يرى فى المترجم ان يكون بحرا في لغتين كي لا يتخبط في الفهم وبالتالي فى الترجمة. فأول الترجمة فهم . ولا يسع احدا ان يترجم شيئا لا يفهمه فهما صحيحا . والفهم لا يتأتى الا باجادة اللغتين اللتين

يشتغل المترجم بهما . والاجادة لا بد ان تشمل القواعد والبلاغة والاداب واسرار اللغة بل شذوذها . لان لكل لغة شذوذا كما ان لها عبقرية . فالمؤلف الاعجمي حين يكتب مصنفا ، يستعين بالاستعارات والتشبيهات وبالاثار الادبية البارزة في لغته . وبالامثلة الشائعة على السنة بني قومه . وهو في ما يكتب يعكس ثقافات عصره واساليب التفكير فيه وطرائق التعبير الشائعة . وهو قد لا يفصح في مواضع لاسباب يرتئيها هو فيلجأ الى الرمز . ويتكلم بعبارات تحتمل معاني متعددة . وكل هذا يجعل مهمة الترجمة مستعصية الا على الذين يجيدون اللغة المنقول عنها اجادة تامة ، والذين يجيدون اللغة المنقول اليها اجادة اتم ، فلا يقوى على الترجمة البليغة الا بليغ في لغته يتحكم فيها كما يتحكم الطبيب في مبضعه .

ويرى : ان عيب الترجمات الحديثة هو افتقار المشرفين عليها الى ما يمكن تسميته « بالضمير الادبي » فالمترجمون يبيحون لانفسهم حقا لا منازعة فيه في التصرف بالكتاب المنقول كيفما يطيب لهم . ومن ثم صارت اعمال الكتاب نهبا للعابثين من المترجمين الذين لا يرعون حرمة الضمير الادبي .

ويرى : « أن الترجمة المعتمدة هي الترجمة الكاملة الامينة التي تضيف الى المتن شيئا ولا تحذف منه شيئا . والتي يسمو بها المترجم اسلوبا ومنهجا وتعبيرا وتدقيقا ، فيحكى الكتاب في لغته الام » .

ويرى انه من الضروري ان يقوم بالترجمة « من هم على درجة مماثلة في التخصص في هذا العلم او ذاك الفن . فكتب الهندسة تترك للمهندسين ومؤلفات الطب للاطباء وهكذا ... »

ويكتب وديع عن خبرته في الترجمة فيقول : « لكي تكون المترجم مجيدا يحسن ان تكون الترجمة هواية وعملا في آن . ويحسن كذلك ان يكون المترجم نفسه اديبا ذواقة يجري قلمه على الطرس لينا منصاعا ، له حصيلة كبيرة من مفردات اللغة ومترادفاتها وله حافظة تعينه على اختيار العبارات الملائمة في الموضع الملائم » . ويرى ان غاية ما يطلب في الترجمة هو ان يجيء العمل المنقول صنوا للعمل الاصيل وندا له وكفؤا . ويرى وديع : ان الاهتمام في الترجمة ينبغي ان ينصرف الى الكتب التي تعد مراجع ومصادر قبل الكتب التي تعد ترفا ذهنيا

ونستطيع نحن في ضوء هذه الاراء التي قدمها الكاتب وديع فلسطين ان نرجع الى كتابه المترجم فنجده قد حققها على احسن وجه ، وانه كان صادقا في تطبيق منهجه الذي رسمه للمترجم فقد سار على نفس المنهج الذي رسمه . بالنسبة للتخصص حين اختار وهو الصحفي – كتابا في فن من فنون الصحافة – وانه اختار موضوعا ليس له مراجع في اللغة العربية وقد توافر لكتابه الامانة الادبية وحقق مذهبه في الترجمة الذي يدعو الى ان يكون المؤلف والمترجم على درجة متماثلة في التخصص كما انه قد توافر له في الترجمة ما اشترط من المران الطويل وتملك ناصية اللغتين وفهم دقائقهما و « شذوذهما » .

* * *

ولا يمكن ان ننسى ونحن نتحدث عن «وديع فلسطين» المترجم الذي يعرف حاجات العصر ان نذكر الجانب الكبير من اثره الفكري ، وهو جانب « الكتابة » في ميدان النقد والانشاء والدراسة الادبية . فهو منذ اشتغاله بالصحافة منذ سنة ١٩٤٤ وهو دائب الانتاج والبحث . وقد نشرت له صحف مصر والمهجر وبيروت ودمشق والمملكة العربية السعودية والعراق وباكستان والاردن وفلسطين وتونس والمغرب والكويت والبحرين عديدا من الابحاث والمقالات والمراجعات ، وقد بلغت هذه الاثار الافا متعددة لا ندري متى سيسويها صديقنا كتبا ومؤلفات ينتفع بها من لم يتحقق له قراءتها في الصحف التي نشرت بها .

وربما كان وديع فلسطين يلقى من التقدير في دوائر الادب في هذه العواصم العربية اكثر مما يلقى في القاهرة نفسها ، ولعل سر هذا هو استعلائه عن مواصفات النقاد والكتاب وبعده عن مجالات الشهرة التي تسلط الاضواء على الكتاب الذين يعملون في الصحافة وهم ليسوا في الحقيقة اكثر الكتاب اصالة او اعمقهم اثرا .

وللاستاذ وديع جوانب متعددة لا بد من الاحاطة بها لكي تكتمل صورته الادبية ، فهو متصل منذ وقت بعيد باعلام الفكر العربي ورواده الاول وخاصة مدرسة الشام وكتابها المبرزين امثال خليل ثابت وخليل مطران ونقولا الحداد وفارس نمر ويوسف نحاس والامير مصطفى الشهابي . وله صداقات فكرية قامت بالمراسلة بينه وبين عديد من شعراء وكتاب المهجر العربي امثال الشاعر القروي وجورج صيدح .

ويمكن القول في هذا المجال انه لا يمكن ان يذكر كاتب او شاعر من اعلامنا الا وقد عقد معه صلة فكرية بالمراسلة او باللقاء – خلال رحلاته المتعددة الى العالم العربي وامريكا واوروبا – ونشأت بينهما صلات فكرية ودارت بينهما مناقشات وابحاث ، تكون عند كاتبنا ثروة فكرية من الرسائل والخطابات .

ولقد اشتغل وديع فلسطين بالصحافة فترة طويلة ولا زال متصلا بها ومع ذلك فان الصحافة لم تستطع ان تجرفه او تجعله ينحرف عن هدفه الاساسي ، كمفكر وباحث . وقد عمل في الصحافة على هذا الاساس ، فقد بدا عمله ربيع ١٩٤٥ كرئيس لقسم الاخبار الخارجية في جريدة المقطم . ثم لم يلبث ان كتب افتتاحية المقطم بدلا من خليل ثابت . واستطاع بقدرته الفكرية ومرونة اسلوبه ، وقراءاته المتصلة ، وعمق فهمه للتيارات السياسية والاجتماعية من ان يملأ هذا المركز الضخم

بلدتي الحزينة

من قصيدة طويلة للشاعر لم تكتمل بعد

انعام الجندي

اعرف عن بلدتي الحزينة
قصتها ... رواية المأساة في جراحها الدفينة !

اعرف كيف كان في متاهها النسرين
يحكي لجفن الريح ما يخجل من بواحه السكون
والظل في غمغمة الدالية الخجول
يمد للشمس جناحا مترف الذهول
ويشرق الصفصاف بالسقسقة الشرود
تند عن آهة نبع هم بالتغريد

واعرف الثغاء في تأوه المساء
وقمرا يشهق من تنهد الضياء
وضفدعا يهذي وكلبا ضاحك العواء
ونجمة تهرق فوق مذبح السماء
غدائر الشعاع المرهق الافياء
وراعيا يشحذ نايا صابر الدعاء

خلال خمس سنوات كاملة (١٩٤٧ ــ ١٩٥٢) حين توقف المقطم عن الصدور ومع ضخامة هذا الجهد في كتابة الافتتاحية اليومية فانه لم يتوقف عن اعداد بحوث اخرى منوعة في الاجتماع والاقتصاد والادب .

وقد عمل وديع بالتدريس حيث اشتغل بتعليم الصحافة في الجامعة الاميركية ، وواظب على كتابة اسبوعيات جريدة الانذار سنوات متعددة . وكل هذا يدل على طاقات ضخمة في اعماق شخصية هذا الباحث المفكر ، فاذا راجعنا كتابه (قضايا الفكر في الادب المعاصر) وجدنا « الناقد الادبي » لحصاد انتاجنا المعاصر كله ، على نحو من الانصاف لعظمة امتنا وتطلع الى عمل عظيم يليق بمكانة اللغة العربية ، ولذلك فهو قد هاجم الاخطاء والانحرافات التي اصيب بها الادب العربي المعاصر ورسم تخطيطا شاملا لهذه الجوانب يمكن الانتفاع به الى اقصى حد في خلق « أدب عربي جديد » يتفق مع انتفاضتنا القومية الكبرى . وهو في مجموع ارائه معتدل بعيد عن الانحراف لا تجرفه تيارات اللامبالاة الادبية ولا مذاهب الشرق او الغرب ، وانما يصدر عن ايمان بشخصيتنا العربية القوية الملامح التي تفتح ابوابها للثقافات المختلفة لتاخذ منها ما يزيد هذه الشخصية قوة وحياة ويدفعها الى الامام .

فهو غيور جدا على اللغة العربية حريص على عربيتها ينحو باللائمة على التيارات التي تحاول ان تغلب العامية او الشعر الحر ، مهاجما في عنف الذين يتساهلون في قواعد اللغة العربية او يزدرونها . وهو في استقامة فكره لا يلبث ان يهاجم الاتجاه الذي دعا الى اتخاذ الحروف اللاتينية وانحى باللائمة على ضعف النقد وانحراف رسالته وقد وصفه بالسطحية والتحيز . ودعا الى التوسع في الترجمة لتغطية القطاعات التي لا زالت في حاجة الى مراجع . وهو في نقده لا يأخذ اسلوب الهجوم اللفظي ، ولكنه يعمد الى موضوعه فيواجهه مواجهة موضوعية ولا يلبث بعد ان يصف الداء ان يرسم صور العلاج ووسائله على نحو يدل على خبرة ومراجعة واحترام للقارىء وعناية بقراءة كل ما كتب في موضوعه قبل ان يتعرض له .

واذا كانت اراء وديع فلسطين في هذا الكتاب لم تدرس على النحو الذي تستأهله الا انها ستظل «علامات الطريق» تهدي كل سائر في ميدان النقد للادب العربي المعاصر .

وبعد ، فهذه صورة سريعة لشخصية مفكر عربي ممتاز ، جمع بين التبريز في ميدان الصحافة والكتابة والنقد والترجمة ، وهي شخصية ضخمة وخصبة ، تحتاج الى مزيد من الدراسات ، وهي ما زالت تشق طريقها الى مكانها الحق ، وما زالت ترتجى منها اعمال ادبية اخرى كبيرة ، تكون بعيدة الاثر في ادبنا العربي المعاصر .

القاهرة — انور الجندي

ثوب العيد

تمثيلية قصيرة

بقلم الدكتور محمد حاج حسين

(حجرة فى منزل متواضع ، الاثاث بسيط ونظيف . الام مسترخية في مقعد مريح تداعب طفلتها الوحيدة البالغة من العمر سبع سنوات الطفلة رقيقة وجميلة وذات شعر ذهبي ، ووجه صبيح، تتألق به عينان بريئتان . وفجأة تبكي الطفلة، وتمسح الام دموعها بمنديلها ،وتضمها الى صدرها بشغف ، وتربت شعرها) .

الام : لماذا تبكين يا منى ؟

منى : (تتعالى جهشاتها،ولا تجيب).

الام : كفى بكاء يا روحي .

منى : (تحاول ان تكف عن البكاء ولكنها لا تستطيع) .

الام : لن احبك اذا لم تكفي عن البكاء.

منى : (تمسح دموعهابيديها ،وتحاول ان تكف عن البكاء) .

الام : هل ضربتك المعلمة يا حبيبتي اليوم ؟

منى : انها تحبني كثيرا لانني احفظ دائما درسي .

الام : اذن تخاصمت مع احدى رفيقاتك .

منى : ابدا يا ماما .

الام : ولكن ما سبب بكائك ؟

منى : (تحاول ان تبتسم) لم ابك يا ماما .

الام : ولكن دموعكلاتزال علىوجهك.

منى : (تمسح دموعها بكمها ، وترسم ابتسامة باهتة على ثغرها) .

الام : اريد ان اعرف لماذا تبكين .

منى : انا اريد بدلة جديدة للعيد .

الام : ولكن عندك بدلة ..

منى : انها بدلة العيد الماضي ..وكل رفيقاتي اشترين بدلات جديدة . لماذا انا وحدي لا اشتري ؟

الام : ولكن ثوبك لا يزال جديدا .

منى : قلتلك انهقديم .. وسأحبس نفسي فى البيت يوم العيد .

الام : المسألة بسيطة . سنشتري لك بدلة العيد .

منى : (تقفز فرحة ، وتطوق امها بذراعيها ، وتقبلها) صحيحياماما.

الام : صحيح .

منى : سأتنزه مع رفيقاتي ، واذهب الى المراجيح .. واريد البدلة حمراء .. وكذلك حذاء احمر ..

الام : سيكون لك كل هذا .

منى : (ضاحكة) احبك كثيرا ياماما.

الام : سيعود ابوك قريبا الى البيت ليتناول الغداء . قولي لهليشتري لك هذه البدلة .

منى: (راجفة) لا.. يا ماما .

الام : كيف ؟

منى : لن اكلم بابا .. اريد البدلةمنك

الام : أن بابا هو الذي يشتري لنا كل شيء .

منى : وانا لن اكلم بابا ابدا ..

الام : لا يا منى .. ان بابا يحبككثيرا

منى : انه لا يحبني .

الام : انت مخطئة .. انه يحبككثيرا

منى : لن اطلب اليه شيئا .

الام : عندما يرتاح بابا فى غرفتهقبليه يا منى ، وقولي له ان العيدقريب، واريد انتشتريلي بدلةجديدة.. وعندها سيشتري لككلماتبغين.

منى : اني اخاف منه يا ماما .

الام : وهل يخاف احد من ابيه ؟

منى : انا اخاف منه .

الام : بابا يحبك كثيرا ، ولن يرد لك طلبك .

منى : هل تذكرين يا ماما يوم دفعت اليه بكتاب مديرة المدرسة ليدفع لي القسط .. لقد صرخبوجهي ، ومزق الكتاب ، وضربني . ولو لم تخلصيني منه ..

الام : بابا كان فى ذلك الوقت لا يملك مالا .

منى : وانت التي دفعت القسط ، فلماذا لا تشترين لي ثوب العيد؟

الام : لو كان عندي ثمنه لاشتريتهلك

منى : ولكن كيف دفعت القسط ؟

الام : بعت ساعتي .

منى : بيعي الان شيئا اخر لتشتريهلي

الام : (حزينة) ما عندي الان شيء يباع ، ولهذا يجب ان تطلبيه من بابا .

منى : وهل يوجد مع والدي ثمنه ؟

الام : ابوك موظف كبير ، وعنده مال كثير .

منى : ولكن لماذا لا يشتري لي بدلة العيد ؟

الام : لانك لم تطلبيها منه .

منى : ولكن .. اين يصرف ابيماله؟

الام : (ملتاعة) سليه .

(يدخل ألاب . انه فى الاربعين من عمره . ترهل جسده ، ووخطه الشيب .. عابس الاسارير ،متجهم الهيئة يشذر زوجته وابنته بنظرة قاسية ، ويتهالك على اقرب كرسي)

الاب : ماذا طبخت لنا اليوم ؟

الام : بطاطا مسلوقة .

الاب : (فى غضب) وهل هذا غداء ؟ لماذا لمتطبخي لحما وخضاراوارزا؟

الام : لان الجزار رفض ان يعطيني لحما بالدين .

الاب : ولكن لماذا ؟

الام : لان له فى ذمتنا اكثر من مئة ليرة سورية .

الاب : (غاضبا) سأعرف كيف اربيه

الام : ولكن لماذا لا تدفع له دينه ؟

الاب : وما دخلك فى هذا ؟

الام : والبقال رفض ان يعطينا ارزا وسكرا لاننا مدينون له ايضا .

الاب : لعنة الله عليه .

الام : والخباز رفض ان يعطينا خبزا ايضا .

الاب : سأغلق فرنه .

الام : وكذلك بائع الفاكهة .. كلهم يرفضون ان يعطونا اي شيء .. واستطعت ان اقترض ليرة من جارتنا ام بكر ، واشتريت فيها كيلو خبز، وكيلو بطاطا لنستطيعان نتبلغ بلقمة .

الاب : (متململا) كلهم يتآمرون علينا

الام : لماذا لا تدفع لهم ديونهم ؟
الاب : وهل انا هارب ؟ سادفع لهم جميع حقوقهم عندما ييسرها الله
الام : اننا فى اول الشهر .. راتبك خمسماية ليرة .. اننا نستطيع ان نعيش فيها مثل الملوك .
الاب : لن ادفع شيئا هذا الشهر .
الام : هل نصوم هذا الشهر ؟
الاب : اخبريهم انني سادفع لهم كل شيء فى الشهر القادم .
الام : انهم يرفضون . وخير لك ان تدفع لهم اليوم .
الاب : انني بحاجة الى راتبي هذا الشهر
الام : هل استطيع ان اسألك لماذا انت بحاجة اليه ؟
الاب : هذا لا يعنيك .
الام : انه يخصني مثلك تماما .
الاب : (صارخا) يا الله .. اعود من العمل لارتاح ، فاجد الخصام والشر .. ارحميني ودعيني وشأني
الام : ادفع لي كل شهر مئةوخمسين ليرة .. ودع الباقي لك ..
الاب : صحيح انك مجنونة .
الام : تأكد انني لن انفق شيئا منها على نفسي .
الاب : لن ادفع لك ليرة واحدة .
الام : كيف نأكل ؟
الاب : نستدين ..
الام : لن نستطيع ان نستدين بعد اليوم .
الاب : سأجبرهم .
الام : لن تستطيع ..
الاب : انني موظف كبير ..
الام : انك تنسى ان هذه النغمة قد ماتت . لا قيمة اليوم لموظف الا باخلاصه وتفانيه فى خدمة الشعب

(تغادر الام الحجرة ، وتذهب الى المطبخ ، وتحضر صحن البطاطا ، وتضعه على المائدة مع بعض الارغفة) .

الاب : (يمسك احدى البطاطا ، ويقلبها بيده ، ثم يلقيها بعصبية على المائدة . ويصرخ :) لا استطيع ان امضغها . ان نفسي تتقزز منها

الام : هذا كل ما أستطعت أن أعده . ولن تجد شيئا غدا .
الاب : يفرجها ربنا غدا .
الام : اعطني خمس ليرات لاشتري لك لحما وفاكهة ..
الاب : خمس ليرات دفعة واحدة .
الام : لقد تغيرت كثيرا يا ناجي .. اين الايام الماضية التي كنا نرتع فيها بالسعادة والبحبوحة .. يوم كنت تدفع لي كل راتبك ، وتعود من عملك لتجد المائدة حافلة بالاطايب . ما حدث لك يا ناجي حتى تغيرت ؟
الاب : لم اتغير ..
الام : منذ ستة اشهر وانت تضن علينا بالقليل من المال .. هل حدث لك شيء ؟
الاب : وماذا تريدين أن يحدث لي ؟
الام : من حقي أن اعرف السبب لاصون بيتنا من الخراب .
الاب : لا يزال بيتنا عامرا بوجودك .
الام : لا تتهكم بي . وثق انك تنحدر الى الهاوية وانت غافل .
الاب : انا حر فى تصرفاتي .

(يتناول الاب رغيفا ، ويأكل بطاطا ويكرع كوبا من الماء ، ويتجشأ ويتهض عن المائدة ، ثم يعود اليها كأنه تذكر شيئا) .

الاب : ولكن اين منى ؟
الام : فى سريرها .
الاب : لماذا ؟ هل هي مريضة ؟
الام : ابدا . والحمد لله .
الاب : هل تغدت قبلي ؟
الام : انها لا تحب البطاطا .
الاب : لماذا لم تجلبي لها شيئا اخر ؟
الام : عدنا الى النغمة القديمة .. ألم تفهم بعد ؟
الاب : طيب . وماذا اكلت ؟
الام : لا شيء .
الاب : وهل يجوز هذا ؟
الام : قل لنفسك .

(يتجه الاب الى غرفة منى ، ويفتح الباب برفق ، ويصدم بمرآها فى سريرها ، وهي تبكي) .

.. لماذا تبكين ؟
الاب : (يهزها برفق) منى .. حبيبتي
منى : (تتعالى جهشاتها) .
الاب : (ينهضها من سريرها ، ويطوقها بذراعيه ويقبلها) لماذا تبكين ؟ هل ضربتك المعلمة ؟ هل ضربتك ماما ؟ ردي علي يا حبيبتي .
منى : (تنظر اليه وجلة ، وتمسح دموعها) انت السبب يا بابا .
الاب : انا يا منى .. ماذا فعلت لك ؟
منى : العيد بعد ثلاثة ايام ..
الاب : نعم .
منى : كل رفيقاتي اشترين بدلات جديدة . الا انا .
الاب (يتحسس محفظته ، ويطرق واجما مفكرا) .
منى : أشتر لي بدلة جديدة كسائر البنات .
الاب : هل هذا ضروري يا منى ؟ ان ثوب العيد الماضي لا يزال جديدا .
منى : (تتملص من ذراعيه) انك لا تحبني .
الاب : لا احب احدا سواك .
منى : لو كان هذا صحيحا لاشتريت لي بدلتين وحذائين .. لا بدلة واحدة .

(يعصر الاب جبهته بيده ، ويتمشى فى الغرفة ، وعليه امارات التفكير ، ويخرج الى غرفته ، ويتناول الهاتف ، ويدير قرصه) .

الاب : الو .. من .. لولو .. كيف انت يا حبيبتي ؟ .. الحمد لله .. اسمعي لن اشتري لك هذا الشهر الفساتين التي وعدتك بها . ماذا تقولين ؟ .. ارجوك انتفهميني .. فى الشهر القادم سأشتري لك كل ما تطلبين .. طبعا .. اقسم بالله انني سابر بوعدي .. انت تعلمين كم احبك .. ارجو ان تعذريني هذا الشهر .. لا تغضبي ، لا تثوري .. انك تصرين .. ان العيد بعد ثلاثة ايام .. طبعا ، لا يعنيك امر العيد .. ولكنني غارق فى الديون .. وابنتي بحاجة الى ثياب العيد .. والحلوى .. ارجوك يا

لولو .. لا تشتميني .. ماذا انك تهددني بالهجر .. اتوسل اليك .. استطيع انافحك بمئة ليرة.. طيب انت حرة .. صحيح انني مخدوع . الان فهمت انك تحبين مالي .. ماذا تقولين ؟ شعري الذي علاه الشيب .. يا راقصة يامستهترة .. ماذا ؟ لا تهتمين بعلاقتنا .. اسمعي .. وانا لا اهتم بها .. انك حشرة قذرة .. وانا نادم على الايام التي قضيتها معك .. انني احتقرك .. ان الله شفاني منك .

(الاب يلقي المسماع بحركة عصبية، ويشعل سيجارة ، وينفث دخانها ، ويهرع الى غرفة ابنته ، ويحملها بين ذراعيه ويغمرها بقبلة) .

الاب : منى .. يا حبيبتي .. ساشتري لك خمسة اثواب للعيد ، وخمسة احذية .. وكل شيء .

منى : صحيح . يا بابا .

الاب : مؤكد يا روحي . وفى كل شهر ساشتري لك ثوبا جديدا ، وكذلك لامك الحبيبة .

منى : (تقبل اباها) ماأحلاك يا بابا .

الاب : (يفتح محفظته ، ويعطيها خمسماية ليرة) اذهبي واعطيها لماما ، وقولي لها لتشتري لك كل ما تريدين .

(تنطلق منى مبتهجة الى امها ، وتدخل الام الى غرفة زوجها بعد هنيهات ، وقد اشرق وجهها) .

الام : ناجي ..

الاب : نعم يا حبيبتي سوسن .

الام : انا فى حلم .. ام فى حقيقة .

الاب : فى الحقيقة .

الام : يعني تعطيني راتبك لاتصرف به شاننا فى الماضي .

الاب : واية غرابة فى هذا ؟

الام : انك احسن زوج فى العالم .

الاب : وانت اطيب زوجة فى العالم .

منى : البابا قال لي انك ستشترين لي خمسة اثواب .

الام : سنشتري لك كل ما تريدين .

الاب : ادفعي ديوننا ، واشتري لها اللعب التي تريدها ، والحلوى التي تحبها ..

الام : سافعل ، وسيكون كل شيء على ما يرام .

الاب : انني اثق فى ذكائك ولباقتك .

الام : ولكن كيف تمت المعجزة ؟

الاب : انها صحوة ضمير ..

الام : ماذا تعني ؟

الاب : لا شيء .. كنت مريضا ، وشفيت . وتأكدي انني ساعطيك منذ اليوم كل راتبي ، ولا اريد اي مصروف سوى ثمن السجاير .. لقد تبت الى الله توبة صادقة .

الام : وتبت عن ماذا ؟

الاب : عن جنوني .

الام : واي جنون ؟

الاب : كنت مجنونا طوال الاشهر الستة الماضية .. والان ثاب الي رشدي بفضل منى .

الام : ولكن ما سبب هذا الجنون ؟

الاب : لا يوجد سبب .. وكل ما في الامر انني سعيد الان الى اقصى حد .. منى ..

منى : نعم يا بابا .

الاب : قبليني قبل ان انام .

(منى تقفز الى حضنه وتفتح ذراعيها وتقبله) .

الاب : انها اجمل قبلة ذقتها في حياتي .. انها ينبوع السعادة والطمأنينة .. ما الذها يا منى.. بحياتي عليك .. قبليني مرة اخرى (وتغمره منى بقبلاتها) .

منى : ساقبلك كل يوم يا بابا .

الاب : انها احسن ترضية لي في الوجود . والان يا سوسن .. ارجوك ان تذهبي الى السوق واشتري لها كل ما تريد من الفساتين ، لا تبخلي عليها بشيء.

الام : امرك يا ناجي .

منى : هيا بنا الى السوق يا ماما .

الام : عن اذنك يا ناجي .

الاب : تفضلي مصحوبة بالسلامة .

الام : الى اللقاء يا ابا منى ..

الاب : (وهو يشيعهما بنظراته) ما اسعدني الان .. الحمد لله الذي انقذني من براثن لولو .. هذه اللعينة التي كادت تدمرني ، ماذا اعجبني فيها حتى كدت اخرب بيتي .. صحيح .. انني غبي .. والحمد لله انني تخلصت منها الى الابد ، وعدت الى زوجتي وابنتي الى الحب الصحيح الخالد .

حلب **محمد حاج حسين**

قريتي

قريتي في ذرى الجبل حسنها مطلب الازل
يقسم الليل انها مهبط الحب والغزل
والمحبين والقبل

قريتي خمرة الزمن عشقت في دنانه
وهي احلى – بموطني – بسمة في كيانه
رافقته ولم تزل

قريتي ، رمز نهضة تصل الليل بالنهار
ارضها خير ثروة من ضبابات ونار
حي فيها على العمل

قريتي مطمع الغزاة من عصور القلاع
موضع الفخر انها ملتقى السيف واليراع
فارو عنها ولا تسل

محمد يوسف مقلد

بيت جدتي

واذكر جنة بين الزهور
يلوح كنعجة بيضاء تغفو
وتحلم بالحقول وبالمراعي
هنالك بيت ناسكة تصلي

ومدخنة على بيت صغير
على سجادة العشب النضير
ويعكس ظلها صفو الغدير ..
بمغزلها مع النور الاخير ..

هنالك بيت جدتنا سكون
وكانون تضيء به جمار
وهرتنا القريرة تحت دفء
وجدي ، في عباءته ، بقايا

وآمال تطل مع الشروق
مغردة بالوان العقيق
يداعبها ويحضنها شقيقي
حكايات من الزمن العتيق

امان ريفنا ونقاء نفس
فلا خبث هناك ولا رياء
ومدرستي التي ربت خصالي
وناديننا على صخر مطل

وايمان ... ومهد للامانة
ولا كذب هناك .. ولا خيانه
تقوم هناك .. تحت السنديانه
هنالك ... تجهل الدنيا مكانه !

روابينا الجميلة لو تراها
فتفتننا بالوان زواه
وزهر اللوز ، في نيسان ، يبدو
وزهر المشمش الزاهي عقودا

نجوم الزهر تلمع في ثراها
وتسكرنا بفيض من شذاها
قناديلا تشعشع في سماها
لآلئها تفرد من صفاها !

اسلخ عن محاسنها فتيا
واحرم نعمة الآفاق ظلما
لاحيا في الضجيج .. وفي سباق
واقضي الليل قيثارا حزينا

واحشر بين اسوار المدينة
وايحاء يسلسل في السكينه
على عيش اضيع العمر دونه
يقطر خلف غربته حنينه !

سارجع نحو تربتها .. واجثو
وانشق فوحها وارش زهرا
واحيا العمر في افق طليق
هناك تطيب ايامي وتحلو

لالثمها باهداب العيون
ذوى بعدي ، بذوب من جفوني
على ذاك المطل ... بمرتغون
اغاريدي .. وانعم بالسكون

فؤاد الخشن
من اسرة الجبل الملهم

أسباب تأخر المسرح في أمريكا

بقلم عبد الوهاب عبدالله


مميزات المسرح الامريكي المعاصر ، وخاصة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية انعزاليته عن الميدان الادبي وافتقاره الى القيم الجدية المثمرة .

ومما يسترعي الانتباه ان المؤلفين الذين يخصصون انتاجهم للمسرح الامريكي قلما يعتبرون انفسهم فنانين او ادباء يحق لهم المشاركة في المجال الادبي والمساهمة فيه .

ولو اننا استعرضنا ما انتجه المسرح الامريكي لاذهلنا افتقار المسرح بوجه عام الى القيم الاجتماعية الرفيعة ، واتضح لنا ايضا انعزال المسرح عن التيارات الواعية التى تنمو بين ندوة العاملين على رفع مستوى الانتاج الفني .

ولعل في هذه الدراسة التي نقدمها الان ما يرشدنا الى بعض الاسباب المسؤولة عن علل المسرح الامريكي المعاصر .

ان من الاسباب التي ادت الى ضعف المسرح الامريكي هو حداثة عهده وحرمانه من التقاليد الرفيعة التي تنعم بها المسارح في سائر الدول . فالمسرح في انكلترا مثلا تمتد جذوره الى عهد رائده القدير وليام شكسبير . والفرنسي بدأ على يد موليير في مطلع القرن السابع عشر . اما المسرح الروسي الحديث فقد نشأ في عهد الشاعر بوشكين وانتقل مباشرة الى المؤلف نيقولاي غوغول الذي توفي فى عام ١٨٥٢ حيث خلفه على منصة المسرح مجموعة من الاسماء اللامعة امثال : ليون تولستوي وميخائيل تشيخوف .

* * *

اما من ناحية المسرح الامريكي المعاصر فانه يكاد يقارب المسرح الروسي في حداثته الا انه يختلف عنه في وجوه تطوره .

ان المسرح الامريكي منذ بدايته في مطلع القرن التاسع عشر حتى بعد نهاية الحرب العالمية الاولى اعتمد على المسارح الاوروبية وخاصة المسرح الانكليزي سواء في التمثيليات او فى استخدام الفنانين الممثلين ، هؤلاء الذين طاب لجزء كبير منهم الهجرة والاقامة في امريكا .

لقد قام المسرح الامريكي على اكتاف هؤلاء المهاجرين ولم يكتسب صفة محلية حتى سنين الحرب العالمية الاولى ومنذ ذلك الحين بدأ يشق لنفسه طريقا مستقلا واخذ ينمي خصائص محلية تكشف عن صفات معينة مستمدة من محيطه ومن مجتمعه . ان تمثيلية « ما وراء الشفق» التي اخرجت لاول مرة على مسرح مغمور في عام ١٩١٥ تعتبر نقطة التحول في تطور المسرح الامريكي المعاصر . لقد كتب التمثيلية اوجين اونيل الذي توفي منذ عهد قريب وله تراث مسرحي هائل لايزال بعضه غير منشور حتى الان .

ان النقاد لا يزالون فى معركة جدلية حول جدارة اوجين اونيل ومؤلفاته ، ولكن مما لا شك فيه ان انتاج المؤلف قد طغى على المسرح الامريكي المعاصر وتعداه الى بعض المسارح الاوروبية .

لقد تعرض المؤلف فى صدر حياته الى شيء من النكران والمقاطعة في بلده ، ولكن شهرته حاليا غنية عن البيان ، وقد تم تقديم تمثيلياته سوى القليل الذي لا يزال عرضة للنزاع بين المنتجين وبين ارملته الغيورة على تراث زوجها الراحل . لعل من اشهر مؤلفاته تمثيلية « عودة بائع الثلج » وكذلك تمثيلية « اغتراب فى الظلام » .

ان مصادر الالهام لدى اونيل تمتد الى عهد المسرح الاغريقي القديم .

ولقد طبعت تجارب المؤلف وحياته الخاصة انتاجه المسرحي بسمة الحياة المريرة التي عاشها اونيل مع عائلته فى ضلال العوز والحرمان ، ويكشف لنا عن معرفته العميقة للطبيعة الانسانية حتى لتتفجر تمثيلياته احيانا بنداءات مبحوحة ضد التحكم والجور الاجتماعي ، ولكنها غالبا ما يلفها اليأس والسأم .

عرف عن المؤلف ولعه بالمسرح الياباني وعرف عنه شغفه بما يتصف به المسرح الشرقي من رمزية وغموض . ويفسر بعض النقاد هذا الانجذاب نحو المسرح الشرقي برغبة اونيل فى تحرير المسرح الامريكي من التأثيرات الاوروبية ، ولكن هذه المحاولة انتهت بكساء المسرح الامريكي ثيابا متناقضة ، ولعلها من الاسباب التي عاقت تقدمه .

* * *

ولعل من الاسباب الاخرى ألتي قد عاقت تطور المسرح الامريكي هي انتشار صناعة السينما ومن ثم التليفزيون فى مرحلة نشوء المسرح ومنذ بداية عهده . ولكن لو استعرضنا اثر هذه المزاحمة على المسارح الاوروبية وعلى المسرح الروسي لوجدنا ما يبرهن لنا على ان السينما والتلفزيون هما في الحقيقة امتداد شكلي للمسرح ومن طبيعة الامور ان يتآلفا مع تطور المسرح ومع اساليب العرض المتجددة ، وفي جميع هذا انتعاش نافع للفن التمثيلي بوجه عام . ويكشف لنا هذا التالف عن انطلاقات واسعة فى آفاق التجديد وكسب مثمر لميدان التأليف والاخراج المسرحي .

اما الدليل الاخر على ان المزاحمة بين المسرح والشاشة ليست الا اسطورة قد بالغ النقاد فى سردها ، فهو وجود عدد من المسارح في امريكا ذاتها يربو على عدد المسارح قبل انتشار صناعة السينما او التليفزيون .

ويقدر عدد دور المسارح في امريكا حاليا بما يزيد على

ثلاثة الاف مسرح ، يضاف اليها نحو الفي مسرح تجريبي تحت اشراف الجامعات والمعاهد الفنية المتعددة(١)، وهذه المسارح ليست مسارح دائمة بل موسمية ، كما ان اغلب الدور المسرحية تفتقر الى الاستعداد الفني والالي الذي يؤهلها للقيام بدورها على وجه فعال، ولعل من اهم العناصر المسؤولة عن هذا الضعف هو العجز المالي الذي تعانيه اكثر المسارح في امريكا .

* * *

ويجوز القول ان ما يتصف به المسرح الامريكي من وهن وانعزالية مرده الى انعزالية المؤلفين انفسهم والى قلة جدارتهم او وعيهم مما ادى الى انغماسهم في انتاج متواضع او مشوه .

ومن المعروف عن معظم كتاب المسرح في امريكا هو انشغافهم المطلق فى فنهم المسرحي ، وتخصيص جميع قواهم له . ان هذا الاختصاص الضيق حتم عليهم الانعزال عن وجوه النشاط الادبي ، ويكاد يحرمهم من الاتصال النافع مع التيارات المتجددة بين مجموعة الفنانين من شعراء او ادباء او نقاد ، او حتى بين الافراد والنظارة

واذا قارنا على سبيل المثال المؤلفين المسرحيين في امريكا مع اقرانهم في اوروبا لوجدنا ان الاوروبيين يميلون بقوة الى ممارسة مختلف وجوه النشاط الفني والادبي ، كما انهم يسهمون فعليا في الحركات الفكرية والفنية الناهضة في مجتمعهم .

ومن قبيل ذلك جورج برنارد شو الذي تزعم حركة شبيهة بالحركة الاشتراكية منذ بداية عهده بالمسرح الانكليزي .

كما قاد المؤلف الالماني برتولت برخت حركة منفردة في سبيل ايجاد مسرح شعبي ويشبهه في هذا المجال الكاتب الروسي مكسيم غوركي . ولقد تبنى كل من المؤلفين جان بول سارتر والبير كامو حركة الوجودية في فرنسا. ومن المعروف عن المؤلف المسرحي الايرلندي المعاصر سين اوكاسي مقاومته العلنية للتعصب الديني في بلده .

اما فى امريكا (مع استثناء بعض الكتاب مثل ارثر ميللر) فاننا نجد ان من النادر ان يساهم الكاتب المسرحي فى امور خارج نطاق اختصاصه وفنه ، ولعل في هذا الانعزال عن الميدان الفني العام تكمن بعض الاسباب التي اوهنت المسرح واضعفت كيانه وتأثيره(٢) .

ولعل من العلل الغريبة التي يتصف بها المسرح الامريكي هو ان غالبية الادباء فى امريكا يكنون للمسرح بوجه عام عداء سافرا ويميل اكثرهم اما الى التنكر الصريح او الى الحياد التام تجاه مشاكل المسرح ومتاعبه .

ومن المؤلم حقا ان يقاطع الادباء والشعراء فى امريكا فيما عدا القليل منهم هذا الركن الجوهري فى البناء الفني.

* * *

ولكن مما يدعو الى التفاؤل هو ان هناك بارقة تبشر بنشاط متزايد من قبل كتاب القصة ومن الشعراء الذين خصصوا شيئا من انتاجهم الادبي الى المسرح . وقد قدم فعلا بعض هذا الانتاج .

ومن ابرز ما تم عرضه تمثيلية « قصة الراهبة » لمؤلفها وليام فوكنر الذي اشتهر بانتاجه الواسع في ميدان القصة . وقدم ايضا « محنة يعقوب » وهي ملحمة شعرية في اطار ديني للشاعر ارشوبلد ماكليش وهذه بادرة انتاجه للمسرح . وكذلك تم عرض «مهرجان ثربر» وهي مقتطفات من انتاج الناقد الاجتماعي والرسام الهزلي المعاصر جيمس ثربر . وتعرض حاليا تمثيلية جديدة تم تبنيها للمسرح من انتاج المؤرخ الامريكي كارل ساندبرج ، وكل هذه البوادر قد لاقت نجاحا يبشر بخير .

لعل تردد الادباء والشعراء عن المساهمة في الانتاج المسرحي مرده الى تحكم وتعسف المنتجين المشرفين على دور المسارح . ومن المعروف عن المسارح انها مؤسسات تجارية خاصة تبغي الربح وتحرص على تفادي الاضرار المالية مما يدفع اصحابها الى الحذر والتشكك ، او الى التدخل السافر الذي يصل احيانا الى صميم التمثيلية وقيمها الجوهرية .

ويكفي على سبيل المثال الاشارة الى المذكرات الفاضحة التي نشرها اخيرا الشاعر والمؤلف المسرحي الناشيء وليام جبسن الذي قال :

« ... لو ان مجلة ما طلبت مني تحريف قصائدي عندما كنت شاعرا مغمورا لكان ردي على هذا الطلب الشاذ هو الرفض المطلق ، حتى ولو ادى هذا الى الامتناع عن النشر ، ولكن الامور قد تغيرت الان عندما اصبحت مؤلفا مسرحيا . ان نجاحي لم يتم بلا ثمن . لقد فقدت تلك الحمى الروحية التي تميز بين الفن وبين التهريج، وفي هذا اكبر خسارة لي ، لقد بات الان من الضروري ان يكون المؤلف المسرحي فى بلدنا شخصا مرغوبا فيه وليس عليه ان يكون جادا ... »(٣)

وقد كتب المؤلف المسرحي تنيسي ويليامز عن المنتجين الذين يتاجرون بقيم المسرح الجوهرية ، يقول :

« ... ان تنصيب رجال الاعمال لتدبير وادارة شؤون المسرح عمل لا يقاربه في هوله الا توكيل حراسة المعابد الى قطيع من الثيران ... »(٤) .

* * *

ان متاعب المسرح الامريكي المعاصر لا تعني فشله التام،

(١) صحيفة نيويورك تايمس عدد ١٨ سبتمبر ١٩٦٠
(٢) راجع مقال الناقد روبرت بروستاين في مجلة هاربر عدد اكتوبر ١٩٥٩
(٣) راجع كتاب
The Seesaw Log, by William Gibson, P305
(٤) راجع مجلة هولي دي بتاريخ اكتوبر ١٩٥٩

كبريـــاء !...

●

سار وهو يضرب الارض بقدميه ،
يتصاعد الغبار ويعلوحتى يداني وجهه،
ثم يهبط حذو نعليـــه ...
فى عينيه استهزاء ، وفى نظراته
سخرية وازدراء ..
شفتاه تتحركان ، وكأنهما تتكرمان
وتجودان بالكلام .. وكأن هذا الكلام
نعمة تهبط الى الارض من العلياء
من مكانه هو، الى حيث بقية الناس..
كل ما يراه ويشاهده قذى فى عينيه ،
ادار راسه الثراء ، وبهر ناظريه ..
الناس لا قيمة لهم ، يطؤهم بنعليه ،
كلهم تحت يده ،كلهم يتوددون اليه..
نظرته مكرمة ، كلمته نعمة ،
وابتسامته فيض من كرم وعطاء
ليس له انتهاء !.
ليست بـــه حاجة للعطاء ولا للجود
الناس كلهم تحت يديه ،يتوددون اليه
وهو فى كل هذا لا يرى الغبار
المتطاير تحت اقدامه ذات اليميـــن
وذات اليسار ..
ذرات صغيرة لا تراها الاعين ،
تعلو الى فوق ،ثم تهبط الى الارض..
لا يفكر ، بأنه ذرة مثلها ،
مصيره كمصيرها ...
العلو ، ثم الانخفاض الى الارض ..
لقد انساه الكبريـــاء ،
انه لا بد ماض ،
الى الارض .. الى الغبراء !..

تونس **ناجيه ثامر**

اذ هناك بعض القوى الواعية العاملة على انعـــاش المسرح وتحريره من قيود العجز والتأخر، والاخذ بيده الى رحاب المتسع الانساني . وفي طليعة هؤلاء المؤلف ارثر ميللـــر الذي برهن في تمثيلياته العديدة عما للمسرح من امكانيات عزيزة وقدرة على الخلق والانتعاش . وهناك ايضا مؤلفون اخرون طال غيابهم عن المسرح ولكن انتاجهم السابق لا يزال يرسم تباشير المستقبل ، امثال كليفورد اوديت، وتونتين وايلدر وبالمثل هناك كاتبات شاركن في هذا الميدان امثال السيدة ليليان هيلمان التي قدمت تمثيلية رائعة في هذا الموسم بعنوان « دمى في القبو » اشارة الى بعض التقاليد السقيمة التي لا تزال سائدة في المجتمع ، اما المؤلفـــة الاخرى فهي السيدة لودين هازبري مـــن اصل زنجي ، وقد قدمت هذا الموسم تمثيليتها « عناقيد في الشمس» التي يدور موضوعها حول التمييز العنصري . وقد سبق الاشارة الى الملحمة الشعرية التي قدمها الشاعر مـــاك ليش والتي تعالج في اطار ديني منحة الانسانية واخطار الحرب الذرية .

وقد لاقت جميع هذه المسرحيا تمن التشجيع مـــا يتيح لنا القول بان ما حدث هذا الموسم لهو اكبر دليـــل على ان المسرح الامريكي المعاصر في طريقه الى التحـــرر من عزلته ومواجهة مسؤولياته بامانة وتضحية ، كما ان هذه البوادر الموفقة تدل على انه لم يخسر رواده ممـــن يبحثون عن القيم الجوهرية وعن حلول عادلة لمشاكـــل العهد الحاضر ومخاوفه .

نيويورك **عبد الوهاب عبدالله**

في مدينة بولونيا

في غربة لا اهل لي ... فيها ، وطال بها ـ مقامي
وحدي اعيش كسائح ... جواب آفاق جهام
لا زوجتي قربي ، ولا ... الاطفال ابصرهم امامي
وخيالهم ... لا شيء غير ... خيالهم يطفي اوامي
وسوى البريد اظل ارقبه بوجد المستهام
لاعيش بين سطوره ... مع من احب من الانام
وارى الوجوه الناضرات ... مشعشعة بالابتسام
ارض المفاتن هذه ... بلد المتاحف والفنون

بلد القصور الباذخات ... ومشرئبات الحصون
فيها الحسان الفاتنات ... وكل ناعسة الجفون
وبها الملاهي العامرات ... بكل انواع المجون
تبدي لعيني الجمال ... فلا تراه سوى عيوني
ويظل قلبي مغلقا ... عن كل انواع الفتون
ولموطني الحلو الجميل ... يظل يخفق بالحنين

وهنا ببولونيا الجميلة ... استعيد الابتسام
بين الحمام ـ وما احب ... الى اسراب الحمام ! ـ
رمز السلام على يدي ... توحي لروحي بالسلام
وتروح تنقر عن يدي ... قريرة بعض الطعام
أنست الي كما انست ... لها ، وطاب لها المقام
وتزاحمت اخواتها ... حولي ـ وما احلى الزحام ! ـ
فكانما كانت ترحب ... بي وتهديني السلام

مرآك يا رمز البراءة ... زاد في شوقي اشتدادا
جعل الحنين لقلبي النائي عن الاوطان زاد
فأنا احب ، كما تحبين ، التآلف والودادا
واود ان القى احبائي واخواني البعادا
هاتي اعيريني الجناح ... لكي يبلغني المرادا
فاطير نحو احبتي ... القاهم ، وارى البلادا
ويعود سربي ، مثل سربك ، لا افتراق ولا ابتعادا !

الى ريمون المفتي

كنت وحيدا ، وكآبة عميقة تغمر نفسي ،والدنيا سوداء سوداء في عيني. وفجأةوجدت الصديقة الاردنية الانسة ريمون المفتي فيالفندق نفسه الذي اقيم فيه ، على غير علم منها او مني . فكانت هدية عظيمة ارسلتهاالي السماء ، فرأيت فيها أهلي واحبائي وبلادي ، واحسست وانا اصافحها بأنني اصافحهم جميعا .

لقياك ردت الى روحي بشاشتها ... ففاض قلبي سرورا عند مرآك
طلعتفي غربتي شمسا ، وما عرفت ... روحي الضياء بهذي الارض لولاك
وكنت لي ههنا كنزا اتيه به ... وابصر الاهل قربي في محياك
فأنت اهل واخوان احبهمو ... لقيتهم كلهم حولي بلقياك
وانت اردني المحبوب ، قد عبقت ... رياه في الصدر مع انفاس رياك

ريمون ! يا اختكم انعشت بي أملا
الان احببت « ميلانو » ، وكنت بها
لنا بروعة ايام محببة
سعدت فيها بأهل من احبتنا

فليت رفقتنا يا اخت باقية
غدا تفرقنا الايام معجلة
سترجعين الى الاردن هانئة
وقد تنسيك لقيا الاهل رفقتنا

ما استطاع ينعشه فى النفس الاك
من قبل فى وحشة او صمت نساك
– لله ما كان ابهاها وابهاك ! –
واليوم اسعد فى لقياي اياك

فلا يفارقني انسي برؤياك
لكن سيبقى بقلبي طيب ذكراك
– عودا سعيدا،وعين الله ترعاك –
لكنني لست ، يا ريمون ، انساك !

يوم الوداع

... وبعد اربعة ايام غادرت ريمون ميلانو الى فيينا ، قبل عودتها الى الاردن ، وودعتها فى المحطة ، ثم عدت وحيدا كما كنت من قبل ، لا صديق ولا رفيق .

لقاؤنا كان قصير المدى   وفرحة اللقيا مضت كالسراب
كأنها ما سلمت أذ اتت
واشرقت فى وحشتي فرقدا   الا لكي تفجعني بالاياب

من قبل كم عانيت من وحدتي ،   من سأمي ، من لهفتي للصديق
حتى اذا الفيتها فجأة
زالت كآباتي ، انتهت وحشتي   واستغرقت روحي بحلم عميق

رايت فى طلعتها الزاهية   اهلي ، واردني احب البلاد
وحينما صافحتها والتقت
اعيننا فى فرحة طاغية   صافحت ، بل عانقت اهلي البعاد

والان زال الحلم ، اضحى سراب   ووحدتي عادت الى عهدها
قطارها اذ راح يطوي المدى
ابقى لي الحيرة والاكتئاب   والسأم الفتاك من بعدها

ريمون ! ذاك الحلم ما اروعه :   لقاؤنا فى الغربة النائية !
منحتني السلوان ، حتى اذا
ودعتني سلبته مسرعة   فلم تطل رفقتنا الهانيه

اقسى على نفسي هذا الوداع   من وحدتي الطويلة القاسيه
لو كنت استطيع جعلت القطار
قلبي الذي عاد حليف الضياع   وكنت قد منحته العافيه

سنلتقي يا اخت فى ارضنا   سنلتقي ، و الحاضر المؤلم
يصبح ذكرى حينما نلتقي
نروي حكاياها الى اهلنا   وثغرنا فى غبطة يبسم !

ميلانو   عيسى الناعوري



أمام الموت

بقلم جورج سالم

لست ادري كيف قادني حب الاستطلاع ، صباح هذا اليوم من ايام العطلة ، لاقرأ تلك الورقة ذات الاطار الاسود ، اذ ليس من عادتي ان اقف امام هذه الاوراق التي تحمل نعي الموتى الى معارفهم فى المدينة ، اعتقادا مني بانني اجهل معظم ابناء مدينتي، اما اقربائي واصدقائي فان اخبارهم ـ حسنة كانت ام سيئة ـ ستصلني بسرعة لا شك .

الا انني مع ذلك كله ، رأيتني اتريث امام هذه الورقة المشئومة باطارها الاسود وحروفها المختلفة الحجوم ، واوشكت ان اتجاوزها على عادتي ، ولا سيما فى يوم جميل كهذا اليوم عقدت العزم فيه ان اتجول فى الحديقة الندية برهة ثم اجلس في المقهى الصيفي المطل عليها اطالع بعض صفحات من رواية كنت شرعت بقراءتها .

وهكذا وقفت اقرا. انه اسم اعرفه لا شك ، ولم استطع للوهلة الاولى ان اربط بين هذا الاسم وبين صاحبه . كيف جمد ذهني الى هذا الحد ؟ من المؤكد انني اعرف هذا الاسم ،وليست هذه هي المرة الاولى التي اسمع به . وفجاة التمعت صورة المدير فى ذهني . نعم انه مدير المدرسة التي اعلم فيها. ورحت اقرا الورقة من جديد .اهناك خطأ ؟ وادركت ان ليس فى الامر من خطأ . فلم التفت الى الورقة وتابعت السير مطاطيء الراس .

اذن فقد مات مدير مدرستنا ذو الجسم المتين الصلب والعينين الحادتين . من كان يظن انه سيموت ، وهو يتمتع بتلك الصحة والحيوية والعنفوان ؟!

واحسست بشيء يشبه الرضى والارتياح ، ورحت افكر بزملائي من المدرسين . اتراهم سمعوا بهذا النبأ؟ وما عسى ان يكون وقعه فى نفوسهم؟ ومضيت اتخيلهم . اغلب الظن انهم سيشعرون بسرور فائق . بل هذا هو الواقع . انهم سيبتهجون جميعا بلا استثناء بهذا الخبر . لقد اتيح لهم اخيرا ان يتخلصوا من هذا العبء الذي يجثم على صدورهم ، وانزل عنهم كابوس رهيب ، وتخيلتهم يتنفسون الصعداء كما افعل انا الان.

والحق ان مديرنا كان انسانا فظا قاسيا لا يحتمل . فقد بسط رهبته علينا جميعا، ولم نكن نستطيع ان نجد الى مقاومته سبيلا . فمنذ خمسة اعوام وهو يعامل الجميع بقسوة شديدة . كان يرى فى كل منا خصما له . كان يرصد حركاتنا وسكناتنا ، فاذا ما تأخر واحدنا او تغيب ، جاءه التوبيخ والانذار بسرعة . ولم يكن راتب اي منا ينجو من حسم اخر الشهر . كان من عادته ان يأتي صباح كل يوم قبل حين الدوام ، ويقف امام الباب ممسكا بساعته ينتظر منا تأخرا او هفوة ايا كان نوعها ، وكنا كثيرا ما نتذمر فيما بيننا ، ولكن لم يكن باستطاعة احد منا ان يتجرأ على فتح فمه امامه . وكانت سيطرته تتعداناا الى الطلاب والاذان ايضا ، فالجميع يهابون بطشه ويفرون منه . اما هو فكان يسير دائما فى الباحة او فى ممر الردهات مقطب الجبين، عابس الوجه، منتفخ الاوداج غيظا ، وأن لم يكن هناك من سبب للغيظ .

وكان مما يضايقنا ، رغبته فى ان يضيع لنا اكبر قدر من اوقاتنا .كان يكلفنا بالاعمال المرهقة ،من اشراف على لجان الطلاب ، واهتمام بجداول العلامات ، ونسخها على جلاءات الطلاب ، وعلى سجل المدرسة الرسمي فى كل اسبوع . وكنا ننظر الى هذا العمل بكثير من الكره والازدراء ، ونشعر ونحن نقوم به بكثير من الحنق والغيظ ، لانه عمل لا معنى له في نظرنا . وما اكثر ما كنا نخطيء ونمحو ما سجلنا ، ثم نعيد الكتابة لنقع فى الخطأ من جديد . وكثيرا ما اخذنا هذا العمل الى منازلنا نتمه فيها فى اوقات راحتنا . وكم تمنينا لو يتاح لنا ، أن ننجو ذات يوم من جو هذه المدرسة ومن سلطان مديرها . ولقد اتيح فعلا لبعض السعداء منا ان يهربوا الى مكان اخر . اما الذين بقوا ، فلم تكن لهم مؤهلات علمية أو شهادات رسمية تتيح لهم ان يتركوا هذه الصخرة التي قيدوا عليها ، براتبها الضحل وعملها المرهق . ولقد مضى المدير الى ابعد من ذلك حين حظر علينا اعطاء اي درس خاص . والواقع ان تلك الدروس الخاصة كانت تدر علينا شيئا من المال يتيح لنا حياة اوسع قليلا ، ذلك بان راتبنا الذي نتقاضاه من المدرسة لا يكاد يكفينا .

لذلك فانا اجزم بان جميع المدرسين سيشعرون اليوم بما أشعر به الان من سرور بذهاب هذا المدير بظله المرهق الى غير ما رجعة . سيكون لنا مدير جديد لا شك ومهما يكن هذا سيئا فسوف يكون افضل من الاول ، لان خيالنا لم يكن ليتصور انسانا اعنف منه واقسى ، ولا اميل منه الى ظلم المدرسين وارهقهم .

وانتهى بي المطاف الى المقهى الذي اعتدت الجلوس فيه . لمحت من بعيد رفقائي من المدرسين فقصدتهم . وقبل ان افتح فمي لاحمل اليهم ذاك النبأ الضخم ، ابتدروني قائلين ، وابتسامة ماكرة تشع من عيونهم :

ـ لقد مات اخيرا !

فاجبتهم ضاحكا :

ـ بهذه السرعة ؟ لم نكن نظن انه سيموت !

وقال احد الاساتذة :

— ترى من يخلفه في تقطيع شرايينا؟

قلت له : ليس لهذا المدير من صنو في الارض ، فلتبحث الهيئة العليا للمدرسة عن مثيل له اذا استطاعت.

وقال استاذ ثان :

— بشراكم ، لقد قل العمل على نحو آلي . سنتغيب عن المدرسة بالتالي، كل بدوره .

وفرك احدهم يديه وقال :

— لقد طلب الي ثلاثة طلاب عددا من الدروس الاضافية ، فرفضت بالامس طلبهم ، اما اليوم فسامر بهم لاخبرهم باستعدادي . ستون ليرة في الشهر ، وليرحمك الله يا حضرة المدير !

وسألتهم : ولكن كيف مات ؟

— بالسكتة القلبية ، كان جالسا الى الطاولة ، ثم انطفأ بكل يسر .

— واين هو الان ؟

فقال احدهم :

— ما يزال في المستشفى .

— في المستشفى ؟

— نعم ، لم يشيعوا جثمانه بعد.

وسألنا احد الزملاء :

— افي نيتكم ان تحضروا حفلة الدفن ؟

— نعم لنتأكد أنه مات .

ونهضت مودعا .

— الى اين ؟

— سأذهب الى المستشفى لاراه .

فصاح احد الاساتذة بعد ان خطوت عدة خطوات :

— هل تعود لتخبرنا بما رأيت ؟

— حتما ساعود بسرعة .

ومضيت وحدي . . .

المستشفى بعيد ، والطريق اليه جميلة ، لا سيما وان الربيع ينبت في الارض ، ويتسلق اغصان الاشجار ويصفي السماء من كل شائبة ، ويرسل نسيما طريا يبعث في النفس البهجة ، فيشعر الانسان بانه قد تخفف من كثير من الاعباء ، وان باستطاعته ان يطير .

اقتربت من المستشفى ورغبة شديدة تجتاحني لارى المدير لاخر مرة ، بعد ان مات وارحنا ، ومن يدري فقد يكون خوفي منه اثناء حياته ، وعجزي عن مقاومته قد دفعاني الى رؤيته الان والتشفي منه. يقولون ان ليس في الموت شماتة ، ولكنني لا اعتقد ذلك ، انني مرتاح لموت هذا الانسان ، ولست الوحيد الذي يشعر هذا الشعور ، بل انه شعور عشرات من الموظفين والمستخدمين غيري .

ودخلت غرفة كان المدير مسجى فيها على سرير ابيض ، وقد غطي بغطاء ابيض شمل كل جسمه ، والى جانبه جلس اخوه مطرقا ، الا انني لم اعرف ماذا يجول في نفسه ، وما مقدار المه ، لانه كان جامد الوجه اصم التعابير . وكانت بجانب السرير شمعة بيضاء طويلة تضيء وجها ابيضا شاحبا . وبعد ان رددت الجمل المتعارف عليها في مثل هذا الموقف ، جلست غير بعيد عن جثة المدير ورحت اتفرس فيه .

الا انني وجدته لا يبادلني النظر ، فعيناه اضحتا خاليتين من كل معنى وتخيلت انني انظر اليه مثل هذه النظرة قبل يومين او ثلاثة ، وادركت انني كنت عاجزا عن ان اصوب اليه مثل هذه النظرة ، كان من شأنه ان يجعلني اخفض بصري اذا ما حدقت اليه على نحو ما افعل الان .

اتراه اضحى هادئا مستسلما ؟ لم ار اي فرق بينه وبين السرير الحديدي الابيض الذي مدد فوقه ، او الجدار الذي وراءه او الطاولة التي الى يمينه . لقد غدا شيئا من الاشياء .

لقد مات اذن . وهذا الذي امامي ليس الا جثة ، قطع من اللحم الرخو مصيرها الانتان ، فوق عظام لن تلبث ان تتفتت . اتراني اشعر الان نحوها بشيء ما ؟ وادركت انني عاجز عن كرهها او حبها فلم اعد احفل بها .

وتساءلت في نفسي لماذا اتيت ؟ الكي اعزي اخاه عن موته ، وانا لا اكاد اعرفه ، ام لارى المدير ؟ واين المدير ؟ ولم اشأ ان اصدق ان المدير امامي ، المدير الذي عرفته حق المعرفة . لقد استحال الجبين الدائم التقطيب الى صفحة ملساء بيضاء . وانقلبت العين التي كانت تسدد نظراتها دائما ، الى عين جامدة بلهاء، تشتهي ان تأكلها ، اما اوداجه المضطرمة دائما فقد هدأت الى الابد.

وتساءلت لماذا اتيت ، وماذا انا فاعل ههنا؟ لم يعد هذا الوجه يذكرني باي شيء . وتوارت عن مخيلتي الايام السود التي قضيتها في المدرسة ، وبرزت في ذهني صورة اول لقاء كان بيني وبين المدير حين صافحني وقال:

— نحن هنا نحترم الواجب ، ونؤمن بالمسؤولية .

وشعرت بشيء من الرهبة والندم على ما كان مني نحوه ، لقد سقط حنقي وغضبي فجأة كانهما ورقة صغيرة صفراء ، في يوم خريف عاصف ، وتسلل الى نفسي شعور حزين ناعم ، لقد كان هنا انسان عرفته ذات يوم وربطت المدرسة بيني وبينه . كان قلبه الذي يشبه قلبي كل الشبه ، يخفق منذ ساعات، ذلك القلب الذي لم يتح لي ان اعرفه عن كثب، فقد اقيمت بيننا وبينه حواجز وجدر ، ومن يدري فقد نكون نحن المسؤولين عن ذلك ، وقد تكون مصلحتنا الذاتية هي التي املت علينا مشاعرنا تلك .

وافتر فمي عن ابتسامة صغيرة، لماذا اتيت الى هنا ؟ وما معنى النظر اليه الان ، وقد تقطعت كل الاواصر التي تربطني به وانفصمت عراها ، واصبحت عاجزا عن ان اكرهه او احبه . سيشيعون هذه الجثة بعد الظهر ويسلمونها الى الارض تفتتها.

وعدت من حيث اتيت ، الا انني لم اشأ ان أعرج على المقهى الذي يضم رفقائي !

حلب — **جورج سالم**

حدثتني الايام ... قالت :

بقلم عيسى ميخائيل سابا

في هجعة الليل وقبل ان ينسم الفجر عن وجه النهار ، افقت من رقاد حالم على نسمات حنونة، واذا الفكر يعود بي القهقرى الى مواكب الايام المتعاقبة ليلا ونهارا ، وراء حجب العصور، واذا فتى بهي الطلعة لم تؤثر به حوادث الزمن ، ولم تضف على مفرقه غبار وقائع الدهر اكليلها الابيض ، وكأن الف سنة قد مرت عليه ، كمثل امس الذي عبر ، نظر الي وقال : هي الايام تتكلم فاصغيت اليه . قال : الانسان العوبة الدهر ، قوي يأكل ضعيفا ، وضعيف يجر نفسه ذليلا ، يتمثل القوة فتتراءى له حلما باسماً ، فتجري على لسانه كلاما ، يفاخر بالماضي البعيد ، وما هو هذا الماضي البعيد ؟!

هو كأس وانثى وعود ، قوي يستمد من حاضره بأسا ، ومن ماضيه حلما ، يستنطق الارض فتلبيه ، ويسأل الصخر فيجيبه . يحلق فى اعالي الاجواء ويمخر عباب اليم ويمشي جبلا فوق جبل ، والبسمة تعلو ثغره ، والعظمة تكتنفه ، ينظر اليه المطمئن المفاخر بالماضي ، الماضي البعيد ، ووجهه سيف ورمح ودماء ، فيصفق له ، ويستعين بمنتجات فكره على الحياة ، فيستكين الى الراحة مترفها بالمستحدثات الجديدة ، ويتناسى العلقة التي يسلطها عليه القوي الساهر، فتمتص دمه قطرة قطرة ، ولا يستفيق حتى تكون قواه قد تراخت وحياته قد اوشكت على الغروب وزال شبابه، وهو يتغنى بالماضي البعيد .

والماضي البعيد ، كأس وانثى ودف ، فى القصور وفي البيوتات الكبيرة ، قوته بلسانه وقد بحث فى الدفاتر العتيقة فرأى ماذا ؟

رأى وقرأ اقاصيص نمقها الرواة او تزلف بها الكتبة تقربا ، اما تقية واما تكسبا ، فيبسم لها ويتغنى بها مخمورا بخمرة سورتها ، ارادة مطاعة ودم مهراق وقوى مستنفدة.

واما الايام فقد حدثتني ، قالت :

اقطاعية فى عصر الذرة ، فى السهل والجبل ، ونفخة صدر فى الجرود والصرود ، جهل يستعلي ومعرفة تضمحل وعلم يذل ، خطب تتعالى وايد تصفق ، وموائد تنشر ، وعميان يأكلون ويصفقون ، واقطاعي يتعالى وينتفخ ومن حوله عصابة مسترزقة تعمل لخيرها وتجر المغنم متنقمة، وناس يصفقون ويبسمون .

ما هو الماضي ؟

ناس يكدحون سحابة نهارهم ، ثم يبيتون على الطوى ، وقد قدموا الزرع والضرع للفارق بين سراريه وغلمانه ، بين كأسه وطاسه . والايام قالت: ثلاث لا يشبعن والرابعة لا تقول كفى ، الانسان الظالم . والرحم العقيمة . والجاهل المتسلط .

واما المعتاد على الرشوة فلا يقول كفى ،

رأيت فتى الايام يستعرض الماضي ويلقي موعظة وينادي بأعلى صوته : اني لاعجب ممن يرون الموت امامهم ولا يستعدون له ، ويبصرون الظلمة التي تكتنفهم ولا يستصبحون .

واعجب العجب ممن يرى جاره قد اعد العدة وسعى للحياة المقبلة واما هو فما زال يتغنى بالماضي ، مخمورا بخطبة منمقة وموائد تنشر وايد تصفق ، يتقدم نحو المستقبل المظلم وليس لديه ما يستصبح به .

حدثتني الايام قالت :

رب جيل طاهر فى عيني نفسه وهو لم يتنق من قذره ، والمرء الذي لا يتناسى الكأس والانثى والدف ، ويطوي المجد القديم ، ليعيش في مجد جديد من نسج يده وصنع يمينه. تميته الايام ويقضي عليه الزمن ، ويصبح خبرا فى ضمير الابد ، وخيالا تراءى فى نور الشمس ثم اضمحل . وتنفس الفجر عن صبح تنيره شمس واحدة تضيء الشرق والغرب معا .

نهضت من سريري كبني قومي ووجهي نحو الشرق واما ظهري فأدرته نحو الغرب لاتلقى الصفعة ، احسها ولا ارى اليد التي صفعتني ، واجوز النهار ، كادحا ، وآوي الى سريري تعبا .

ويأتي الليل واحلم بالماضي ، والماضي فى القصور ، انثى وكأس وبربط ، فأصفق واقول كنا وكنا ، نحن بناة المجد ، نحن مرآة الزمن، دان لنا الغرب قديما، وابتسم لنا الشرق، ورحم الله من كان ، فقد طواهم الماضي ولنا الحاضر ، ومن نحن ؟ ريشة فى مهب الريح ، وجعجعة ولا طحن .

نحن خطباء ، شعراء ، منمقو كلام ، ننعم بدماغ الغرب ونترفه بمخترعاته ، ونقول نحن ، ونحن ، ومن نحن ؟.. ، ان الزمان كاهله واهله كما ترى ، فابك يا عين واخفق يا قلب على ماض فيه آلام وفيه بسمة ، بسمة قوي ظالم ما رأى غير الانثى والكأس والدف . ومن عاش فى الماضي فقد مستقبله

ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي انت فيها

عيسى ميخائيل سابا

● « الثقافة الروسية واثرها فى الادب العربي الحديث » عنوان دراسة علمية طريفة وضعها البحاثة يوسف اسعد داغر لمؤتمر المستشرقين الدولي الاخير الذي عقد فى موسكو ، وقد حالت اسباب صحية دون سفره والمشاركة فيه . وننشر فيما يلي الفصل الاول من هذه الدراسة التي اعدهـا الكاتب للطبع .

رحلة ابن فضلان الى روسيا والبلغار

بقلم يوسف اسعد داغر

عني المؤرخون الروس بالمصادر العربية الاولى التي جيء فيها على ذكر الروس او تناولت جانبا من تاريخ روسيا او تاريخ الشعوب التي هي اليوم فى آسيا الوسطى جزء من جمهوريات الاتحاد السوفياتي ، وذلك فى الدراسات الدقيقة التي عقدوها على مراحل التاريخ الروسي القديم ، وفي الابحاث المستفيضة التي قاموا بها فى تاريخ الشعوب والقوميات التي تتألف منها اليوم بعض جمهوريات الاتحاد السوفياتي مما يقع فى اواسط آسيا كاوزبكستان واذربيجان. فقد ترجموا الى الروسية ، طائفة من النصوص العربية القديمة مما جاء فى كتب الرحلات التي وضعها الرحالة العرب والجغرافيون والمصنفون فى الاقاليم والتقاسيم والمسالك والممالك ، كالكندي ، وابن خرداذبه ، وقدامة بن جعفر ، واليعقوبي ، وابن الفقيه الهمذاني ، وابن رسته ، وابن حوقل ، والاصطخري ، والبكري ، وياقوت الحموي وغيرهم كثيرون ممن تقرأ اخبارهم فى كتاب : « الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى » تأليف الدكتور زكي محمد حسن ، وكتاب : «رواد الشرق العربي فى العصور الوسطى» الدكتور نقولا زيادة ــ القاهرة ١٩٤٣ .

فقد رأى بعض هؤلاء المؤلفين رأي العين وعاش وشاهد ما كتب وما وصف ، وكان على المام بما يرى وعلى علم بما يقص ويصف . وكانت هذه الرحلات يقوم باكثرها التجار. وذكر المقدسي أن المسلمين كانوا يجلبون كثيراً من السلع من جنوبي روسيا والبلاد الاوروبية الشمالية : كالجلود والفراء والشمع والقلانس والعسل والسيوف . وكانت السلطات والحكومات العربية والاسلامية تبعث بوفودها الى الاقطار والممالك، وتحملها مهمات تقوم بها فى شتى الاغراض. ومن هذه الوفود بعثة برية ارسلها الخليفة العباسي الواثق بالله (٢٢٧ ــ ٢٣٢ هـ) الى سد يأجوج ومأجوج .

ولعل من اقدم هذه النصوص ومن اشدها اتصالا بتاريخ روسيا القديم ، الرحلة التي قام بها ، فى مطلع القرن الرابع الهجري ، العاشر للميلاد ، احمد بن عباس بن اسد بن فضلان الذي انفذه الخليفة العباسي المقتدر الذي بويع بالخلافة سنة ٢٩٥هـ وكان عمره اذ ذاك ١٣ سنة ، وذلك سنة ٣٠٩ هـ ، الى ملك الصقالبة بمهمة . فوضع فى رحلته هذه رسالة عرفت باسمه وصف فيها ما شاهده منذ ان انفصل عن بغداد الى ان عاد اليها ، وفيها وصف مملكة الصقالبة وعاداتهم وغير ذلك وقد عني المستشرق الالماني فريهن بنشر هذه الرحلة مع ترجمة المانية ونشرها فى بطرسبرغ عام ١٨٢٣ فى ٨١+٢٨١ صفحة .

رحلة ابن فضلان الى بلاد البلغار وروسيا

رحلة ابن فضلان الى روسيا والرسالة التي وضعها عن هذه الرحلة ، مصدر هام من مصادر تاريخ روسيا القديم فى العهد الذي تمت فيه الرحلة ، اي فى القرن العاشر للميلاد، اذ انها تصف بلاد الروس والبلغار والاتراك فى ذلك العهد ، وصفا لا يكاد يقع الا فى هذا المصدر . فلا عجب ان يجعله الروس فى عداد مصادرهم الثمينة كمرجع اساسي لا غنى عنه ، ولا يزالون ، منذ سنين عديدة ، يعودون اليه في مقالات وفى دراسات ليزدادوا به فهما ومعرفة ، كما يقول صديقنا الدكتور سامي الدهان الذي نشر هذه الرسالة من عهد قريب جدا ، وعنه اخذنا بعض التفاصيل المتعلقة بهذه الرحلة .

الوفد والرحلة ــ تمت الرحلة التي قام بها الوفد العربي تلبية لطلب ملك البلغار ، احدى قبائل الصقالبة من سكان الشمال فى اوروبا ، على اطراف نهر الفولغا وعاصمتهم على مقربة من مدينة قازان اليوم ، على خط مواز لمدينة موسكو . وقد طلب مليكهم الى الخليفة المقتدر العباسي ، ان يرسل اليه بعثة من قبله ، تفقهه فى الدين وتعرفه شرائع الاسلام وتبني له مسجدا وتنصب له منبرا يقيم عليه الدعوة للخليفة فى جميع ممتلكاته . وسأله ان يبني له حصنا يتحصن فيه من الملوك المخالفين له ، وهم ملوك الخزر وكانوا من اليهود ، وكانوا يعتدون على قومه ويفرضون عليهم الضرائب يؤدونها عن كل بيت فى المملكة جلد سمور .

فقبل الخليفة ، ووزيره اذ ذاك حامد بن العباس الذي وزر له بعد ابي الحسن علي بن الفرات وعلي بن عيسى بن الجراح ، فارسل الى ملك الصقالبة وفدا من اربعة

اشخاص برئاسة ابن فضلان ومعهم دليل هو رسول الصقالبة : عبد الله بن باشنو الخزري ، لمعرفته اللغة العربية او لثقتهم به وبحسن اسلامه ، وزوده هو ووزيره برسائل الى ملك الصقالبة . وقد ارفق الوفد باشخاص ثانويين ذكرهم ابن فضلان باوصافهم المفردة ، بينهم الفقيه والمعلم والغلمان ، والرسالة على قصرها وايجازها تحدد تاريخ الرحلة وايامها وخططها وسيرها وتتيح لنا ان نرسم الطريق الذي مرت فيه والاوقات التي قضتها فى كل مدينة وقرية ، وعند كل نهر ومفازة .

وصف الرحلة ــ رحل الوفد من بغداد يوم الخميس ١١ صفر ٣٠٩ هـ الموافق ٢١ حزيران ٩٢١ ، وظل يصعد شرقا وشمالا ، مارا بهمذان والري وعبر نهر جيحون ، فبلغ بخارى ثم اوغل فى البراري والبوادي حتى وصل الى فولغا عند ملك الصقالبة يوم الاحد فى ١٢ محرم ٣١٠ هـ الموافق ١١ ايار ٩٢٢ ، فاستغرقت الرحلة ١١ شهرا فى الذهاب ، لاقى خلالها الوفد مصاعب كثيرة واهوالا مذهلة .

وينوه المستشرق الالماني فريهن حين قدم لدراسة بن فضلان منذ مائة وسبع وثلاثين سنة ، بفضل العرب والرحالة العرب على تاريخ روسيا ، اذ القوا بكتاباتهم ورحلاتهم والاوصاف الدقيقة لما شاهدوا وعاينوا وسمعوا، أنوار كثيرة . ويشيد بفضل ابن فضلان للمعلومات النافعة التي ادلى بها عن البلغار وروسيا فى عهدها البعيد . وقد صور فى اخبار رحلته هذه العادات والتقاليد والحياة والاخلاق فى ذلك العصر فى مختلف المناطق التي مر بها او ضرب فيها . فلم يغفل كثيرا عن وصف ما لاحظ من شؤون القوم ومظاهر حيواتهم ، وكان دقيق الملاحظة ، يسجل اكثر ما يرى السائح . والمهم فى الامر انه خص بلاد البلغار والروس بوصف محيط دقيق .

ويجب الاشارة هنا لفضل هذه الرسالة على الجغرافيين والمؤرخين العرب ، فهم كلما تحدثوا عن هذه الاصقاع نقلوا عن ابن فضلان من غير ان يذكروا غالبا اسمه ، اللهم الا ياقوت الحموي . فقد نقل عن ابن فضلان صفحات كثيرة ، وكان يثبت اسمه فى كل موضع نقله عنه من مواضع معجم البلدان . والرسالة مرجع مهم من المراجع للبلاد التي زارها، وخاصة بلاد البلغار والروس .

ولم يعرض الجغرافيون العرب الذين نقلوا عنه اسمه ولم يعرضوا له فى مصادرهم التي اخذوا منها . فقد قرا الرسالة منذ القرن الرابع وبعده الاصطخري وابن رسته والمسعودي ولكنهم لم يثبتوا في كتبهم انهم نقلوا عنه. وفى القرن السابع ، كان يقوت اول من اشار الى فضله واختار فصولا من الرسالة جعلها فى كتابه : « معجم البلدان » .

فهو قد اثبت قرابة عشرين صفحة منها وترك خمس عشرة صفحة ، فكأنه نقل ثلثيها ، وبقي ثلث واحد على الاقل مجهولا لم يظهر فى مصدر أو كتاب . وقد تعددت نسخ الرسالة المذكورة فى عهد ياقوت فى القرن السابع الهجري ، عرفها الناس وتداولوها ، ولا شك فى ان ياقوت راى بعض هذه النسخ خلال رحلاته واسفاره فى بلاد العجم والترك ، فنقل منها فصولا عدة وجعلها فى كتبه مادة يستنير منها ويستشهد على الاقاليم والبلدان التي اراد ان يصفها على عادته . ومن الفصول التي نقلها ما هو خاص بـ : خوارزم ــ وباشغرد ــ وبلغار ــ واتل ــ وروس ــ وخزر .

اهتمام المستشرقين برسالة ابن فضلان ــ والمستشرقون هم اول من تنبه الى خطر هذه الرسالة ، فبحثوا عنها فى المراجع العربية وراوا ان فصولا منها اثبتها ياقوت وحده مشيرا الى صاحبها . فراحوا منذ القرن التاسع عشر يعنون بها درسا وتعليقا وترجمة . فنشر بعضهم سنة ١٨٠٠ ما قاله الجغرافيون العرب عن الروس ، وفيهم الادريسي والمسعودي وابن فضلان .

وفى سنة ١٨١٤ ، جمع المستشرق راسموسن ، مقاطع من هذه الفصول وترجمها الى الروسية . وفى سنة ١٨١٩ راح المستشرق الالماني فريهن يجمع مخطوطات ياقوت ليستخرج منها ما نقله عن ابن فضلان وينشرها تباعا . فنشر سنة ١٨٢٢ ، الفصل الخاص بالخزر الى اللاتينية ومعه ما قاله بن حوقل فيهم . وفى سنة ١٨٢٣ ،نشر الفصل الخاص بالروس الى اللغة الالمانية مع شيء كثير من التفصيلات والتعليقات ، فكان مؤلفا ضخما وقع فى ٢٦٨ صفحة من القطع الكبيرة مع العلم بان الفصل الخاص بالروس فى الرسالة لا يتجاوز احدى عشرة صفحة،ترجمها فى ١١ صفحة مقابلة بالالمانية ، وعلق عليها بـ ١١٥ صفحة زخرت بالنقول عن اليونانية والفرنسية والانكليزية والعربية ، واتبعها بالفهارس والملاحق على نفقة المجمع القيصري وعنوانه بالالمانية : « رسالة ابن فضلان والجغرافيين العرب الاخرين عن الروس من اقدم الازمان. نص وترجمة ، مع نقد لغوي وملاحظات وثلاثة ملاحق ، بطرسبرغ ١٨٢٣ . »

وفى سنة ١٨٣٢ ، نشر فريهن نفسه الفصل الخاص بالبلغار ونهر الفولغا ، (اثل) فى منشورات الجمعية الاسيوية بلينينغراد اليوم . وهكذا نشر الرجل اكثر فصول الرسالة عن ياقوت وتمنى ان يحصل على مخطوطة الرسالة كاملة . الا انه قضى قبل ان يصل الى ضالته .

وفى سنة ١٨٦٣ ، نشر وستنفيلد عن الرحلات عند ياقوت ومنها رحلة ابن فضلان دراسة بالالمانية. وفى سنة ١٨٩١ ، نشر فستبرغ دراسة كذلك عن ابن فضلان .

وفى سنة ١٩٠٢ ، نشر المستشرق الروسي فون روزن مقالا بالروسية عن ابن فضلان واوصافه لاثل وخوارزم والروسيا وذلك فى مجلة ز.ب.ا مجلد ١٥:٣٩ــ٧٢ .

وفى سنة ١٩١١ ، كتب المستشرق التشيكي فورجاك دراسة عن رحلة ابن فضلان ، نشرها فى براغ ، وبعد ذلك بعامين نشر المستشرق الروسي برتولد بالروسية دراسة عن موضوع الرحلات الى روسيا عند العرب . وذلك فى مجلة

ر. ب. ا. الروسية مجلد ٢١ (١٩١٣) فيها عن الاصطخري وابن رسته والبكري .

وفي سنة ١٩٢٤ ، اصدر ماركوارت دراسة عن الرحلة المشار اليها ، في ليبسيك . وفي هذه السنة بالذات ، وقع حدث خطير اذ تسلم المعهد الاسيوي للاستشراق في بطرسبرغ ورقتين مصورتين من النسخة الخطية التي اكتشفت في مدينة مشهد «طوس» من ايران . ووصلت بقية الاوراق مصورة بعد ١٠ سنوات الى هذا المعهد، فتغير سير الدراسات عن الرحلة بعد الحصول على النسخة الكاملة للرسالة .

وفي سنة ١٩٢٤ ، نشر في مجلة ب. ا. هـ (مجلد ٦ ٢٣٧–٢٣٨) مقالا بالروسية في التعريف بهذه النسخة الخطية التي اكتشفت في خزانة المخطوطات بمشهد . ومنذ ظهور المخطوطة توجه المستشرقون الى دراستها والتعريف بها . فنهض العالم التركي زكي وليدي طوغان الى تحقيقها والتعليق عليها وترجمتها ، فاكمل ما فيها وقابلها على ياقوت وغيره ، واتبعها بنصوص من الجغرافيين العرب ، ونشرها بالحروف العربية والترجمة الالمانية ، وطبعها سنة ١٩٣٩ ، ونشر هو نفسه ، قبل ذلك ، مقالا بين فيه اهمية الرسالة وفائدة هذا الكشف .

وقد علق على هذه الترجمة ونشر رسالة ابن فضلان كثيرون بينهم :

١ – تعليقات المستشرق الالماني ريتر في مجلة المستشرقين الالمان ليبسيك ١٩٤٢ ، جزء ٩٦ : ٩٨–١٢٦ .

٢ – تعليقات المستشرقين الاميركيين بلاك وفراي في مجلة بيزنطينيا ١٩٤٩ في ٣٧ صفحة .

٣ – تعليقات المستشرق الانكليزي دنلوب في المجلة الالمانية: دنيا الشرق – شتوتغارت من صفحة ٣٠٧–٣١٢

٤ – تعليقات المستشرق تشاكلاري في المجلة المجرية ، في بودابست ، عام ١٩٥١ من الصفحة ٢١٧–٢٤٣ مع الصور الشمسية لرسالة ابن فضلان .

وفي السنة نفسها صدرت دراسة بالروسية برعاية المستشرق الروسي الكبير كراتشوفسكي في مدينة موسكو . وقد جاءت مقدمتها الروسية في دراسة الرحلة وصاحبها في ٥١ صفحة ثم تلتها ترجمة الرسالة الى الروسية في ١٢٠ صفحة ورقة فورقة ، في ملاحظات قيمة ثمينة جدا واعقبتها الملاحق والفهارس ، وفي اخر هذه الدراسة نشرت صورة شمسية للرسالة كلها عن مخطوطة مشهد بحجم كبير . وهذه الدراسة هي ادق ما صدر عن ابن فضلان ورسالته ، وفيها اصح التعليقات واقربها لفهم النص،خاصة في ما يلم بالبلغار وروسيا . فهي تعتمد على المقالات والدراسات التي نشرت قبلها وترجع الى المصادر الحديثة الواسعة على قوة في الملاحظة ووقوف على العربية واسرارها ولكنها جعلت المستشرقين عامة والروس خاصة، وقد ظهرت الدراسة المذكورة في عداد منشورات المجمع العلمي بالاتحاد السوفياتي بعنوان : « رحلة ابن فضلان الى البلغار ، مع مقدمة للمستشرق الاكاديمي اغناطيوس كراتشوفسكي في موسكو ١٩٣٩ ، في ١٩٣ صفحة و ٣٣ صورة شمسية » .

الا انها لم تعن بطبع النص العربي محققا ومصححا بحروف الطباعة العربية كما فعل زكي وليدي ، وانما اكتفت بالصور يصحح رواياتها القارىء الروسي من التعليقات .

واخر دراسة عن ابن فضلان قام بها مستشرق التي صدرت في مدينة خاركوف في روسيا سنة ١٩٥٧ ، بعناية المستشرق الروسي كوفالسكي في ٣٠٩ صفحات بحجم الربع، مع ٣٣ صفحة للنص العربي في صورة المخطوطة وفيها شروح وتعليقات بالروسية .

فرسالة ابن فضلان طبعت مرة واحدة بالحروف العربية على يد الاستاذ زكي وليدي طوغان مع الترجمة الى الالمانية والتعليق عليها . ونشرت صورها الشمسية مرات وصدرت عنها دراسات ومقالات في الالمانية والروسية والانكليزية. وهذه الطبعة والدراسات هي في الغالب مفقودة من خزائننا العربية لا تكاد تملك منها طبعة او دراسة . فكأن الرسالة لم تنشر وكأنها بقيت مخطوطة . وبذلك اصاب ابن فضلان ظلم كثير في الاقطار العربية ، اذ لم ينهض له ناشر او محقق يجمع شتات التعليقات والمقالات .

الدكتور سامي الدهان ونشر رسالة ابن فضلان–واحدث طبعة واتقنها واشرفها حرفا واخراجا لرسالة ابن فضلان هي الطبعة التي نشرها منذ بضعة اشهر صديقنا الدكتور سامي الدهان عضو المجمع العلمي العربي بدمشق في ٢٠٦ صفحات من القطع الكبير او قطع الثمن . وقد اتبع النص والتحقيقات المذهلة التي علقها عليها بخمسة فهارس عامة كسرها على : ١ – فهرس الاعلام والقبائل والطوائف – ٢ – فهرس المواضع والاماكن – ٣ – فهرس الحضارة واللغة – ٤ – فهرس الكتب والمراجع – ٥ – فهرس محتويات الطبعة الجديدة . وقد صدرت الطبعة في عداد منشورات المجمع العلمي العربي بدمشق فجاءت طبعة مخدومة حافلة بالعناية والتدقيق والتتبع المضني كما عودنا على ذلك الناشر الكريم . وبذلك أعاد ناطق بالضاد وباحث عربي مشهود له بالتحقيق العلمي هو الدكتور سامي الدهان ، الاعتبار الى ابن فضلان صاحب هذه الرسالة ورئيس الوفادة التي ارسلها المقتدر العباسي الى بلغار عام ٣٠٩ هـ ، فازاح بذلك الحيف والظلم اللذين نزلا طويلا بابن فضلان ، اذ تمكن من نشر رسالته في جمهور المثقفين المتشوقين الى تراثنا العربي الخالد وخاصة في هذه الايام بالذات . ليعرف العرب اي يد كريمة كانت لهم منذ القرن العاشر للميلاد ، في نصرة البلغار على الخزر اليهود ، هذه الدولة اليهودية التي طفت على هذه الامة وهددت كيانها وسلبت نساءها واذلتها في عقر دارها .

نهب العرب من بغداد لنجدة القوم المستضعفين . وهكذا تم للدكتور سامي الدهان ان ينشر بين ظهرانينا وثيقة سياسية تاريخية حضارية هامة عني بها الغربيون من جانبهم وبقي على العرب ان يعنوا بها وهم اصحاب الفضل واليد .

اما نص الرسالة فقسمه الناشر الكريم بعد فاتحة الكتاب الى : العجم والترك – الصقالبة – الخزر .

الكشف عن العلاقات التاريخية الاخرى

قام المستشرق الروسي كولسن بترجمة ما ورد في « الاعلاق النفيسة » لابن رسته عن الروس والصقالبة وشعوب البلقان الى الروسية ، كما ترجم الكثير من المقاطع والمعلومات التي وردت في تاريخ اليعقوبي وفي « فتوح البلدان » للبلاذري عن تاريخ اذربيجان ، ومقاطع اخرى عن تاريخ التركمان وتركمانيا وبعض ما يتعلق بتاريخ الداغستان والقفقاس في القرن العاشر للميلاد . ونشر اكثر هذه الدراسات معهد الدراسات الشرقية التابع لاكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي .

ويقول الاكاديمي كراتشقوفسكي : من المعروف ان العرب مدينون الى الكثيرين من مواطنينا كالادباء الذائعي الصيت في اذربيجان واسيا الوسطى منهم الفارابي وابن سينا والخوارزمي والبيروني وسواهم . ومما هو جدير بالذكر هنا انه قد ثبت لمجمع العلوم في اذربيجان واوزباكستان اثناء تحريهم العلمي عن منشأ الادب في بلادهما انه ليس من اصل عربي بل من اصل اذربيجاني اذ انه كان قائما في البلدين قبل الفتح العربي بكثير .

وقد وضع الاستاذ المستعرب بيليف كتابا قيما عن تاريخ الادب العربي في بخارى نحيل اليه من يرغب من الباحثين في الاستفاضة بهذا الموضوع .

ونشطت على التوالي ، منذ القديم الاتصالات بين شعوب الامبراطورية العربية الاسلامية وروسيا . فثمة عدد من شعوب الاتحاد السوفياتي في اسيا الوسطى والقفقاس ربطتها بالشعوب العربية الاسلامية ، منذ اقدم العصور روابط ثقافية وتاريخية وثيقة . وبقي من هذه الروابط كثير من الكتابات والمخطوطات . وتوصل العلماء السوفيات نتيجة لدراستهم اللهجات العربية ، في اكتشاف لهجات عربية جديدة في اسيا الوسطى لم تكن معروفة سابقا .

ويعيش الان في مقاطعة بخارى وفاشقاداريا ، في اسيا الوسطى اكثر من خمسة الاف عربي يتكلمون العربية ولا يستطاع الجزم في ما اذا كان هؤلاء الاقوام العرب ، ابناء اولئك العرب الذين تغلغلوا في آسيا الوسطى تحت الوية الاسلام في عصر الفتوحات الكبرى ، او انهم قد استوطنوا هذه المناطق في القرن الخامس عشر بعد ان نقلهم تيمورلنك من سوريا والعراق الى هذه الاقطار . ولكن مهما يكن من امر فان كون بعض عرب اسيا الوسطى ظلوا محتفظين بلغتهم العربية طيلة هذه القرون ، منذ نزوحهم الى تلك البلاد ، هو واقع ذو اهمية كبيرة جدا.

ودلت البحوث على ان اللغة العربية المستعملة في اسيا الوسطى هي لهجة مستقلة كالمالطية ، وتشغل مكانا خاصا بين اللهجات الاخرى على الرغم من انها تظهر لها في بعض نواحيها صلة باللهجة العراقية ، وفي نواحيها الاخرى بلهجات البدو في اواسط شبه الجزيرة العربية، كما يؤكد ذلك الاستاذ تسيريتللي الذي نأخذ عنه هذه الملاحظة .

وقد بقي من هذه الروابط كثير من الكتابات والمخطوطات والمحفوظات وغير ذلك من الاثار الباقية ، تظهر للنور، مع نشاط البحث العلمي في عدد من اللغات كالعربية وغيرها من اللغات واللهجات المحكية من قبل في هذه البلدان .

واقدم هذه الاثار يعود الى القرن الاول الهجري ، منها مثلا رسالة على الرق ارسلها صاحب صفد في طاجيكستان ديواشتي ، الى القائد العربي الامير الجراح بن عبدالله سنة ٩٩–١٠٠ هـ .

وساهم عدد كبير من ممثلي شعوب اسيا الوسطى والقفقاس في القرون الوسطى العليا مساهمة كبيرة في انشاء الحضارة العربية الاسلامية القائمة على اللغة العربية منهم مثلا مفكرون كبار كالخوارزمي والبيروني والبخاري وابن سينا وغيرهم كثيرون .

وفي القرن التاسع والعاشر للميلاد تنصرت اقوام الصقالبة في عهد امرائهم الاول وذلك على يد رسولي الصقالبة متوديوس واخيه كيريليس اللذين كرزا بالمسيحية بين الخزر وسكان مورافيا ، ومنها استمدت تلك الاقوام الابجدية الكيرلسية . وزاد الاقبال على اعتناق النصرانية بين القبائل السلافية بعد ان ترجمت الاسفار المقدسة الى الصقلبية القديمة في عهد ملكهم الاول فلاديمير الكبير ، المعروف بالقديس .

ومنذ ذلك الحين نرى بعض الروس يفدون الى الاماكن المقدسة في فلسطين للتبرك بزيارتها ، ابتداء من القرن الحادي عشر . وقد زادت رغبتهم اثر فتح الصليبيين للاراضي المقدسة في اواخر القرن الحادي عشر للميلاد (١٠٩٩) ، وانشائهم مملكة اورشليم . فقصد على التوالي عدد منهم كان يزداد على مر السنين مزارات فلسطين وفي طليعتهم الاكليروس القانوني والعلماني يتجشمون المخاطر والاهوال . فيندفع كثيرون من افراد الشعب ينحون منحاهم وينسجون على منوالهم غير هيابين ولا مبالين .

اما الطريق التي كان الحجاج الروس ينهجونها اذ ذاك من روسيا الى الشرق وفلسطين فكانت عادة مدينة كييف ، عاصمتهم الدينية الكبرى ، ثم يركبون منها سفنا

نهرية خفيفة يقطعون بها نهر الدينيبر ، فيسير بعضهم على الاقدام الى بلغاريا ومنها الى القسطنطينية حيث يستاجرون سفنا شراعية يبحرون بها الى يافا عبر البوسفور ، وبحر مرمرا ومضايق الدردانيل وجزر بحر ايجيه ثم الى بحر الشام ، سائرين قريبا من سواحل الاناضول وسوريا ، يتمونون من مدنها عند فقدان الزاد او تناقصه .

ومع كثرة الروس الذين تكلفوا زيارة الاماكن المقدسة فقد قل بينهم من كتبوا وصفا لهذه الاماكن كما راوها او ظهرت لهم احوالها واحوال السكان الذين اتصلوا بهم أو تعاملوا معهم . ولا غرو في ذلك اذ كان معظم هؤلاء الحجاج من عامة الناس ، مع قلة انتشار العلم والتعليم في زمانهم .

ولعل خير الرحلات التي قام بها الروس في هذه الحقبة الرحلة التاريخية التي قام بها الرحالة الروسي دانيال في القرن الثاني عشر التي قضى فيها ١٦ شهرا متجولا في انحاء فلسطين وسوريا ولبنان فكانت اول اثر من جنسها لكاتب روسي ، هي موضوع البحث التالي :

الرحالة دانيال

من مشاهير الرحالة الروس الى الشرق العربي المسيحي ، ومن اقدمهم عهدا ممن حفظ لنا التاريخ اسمهم ، الرحالة دانيال الذي طوف في فلسطين وسوريا في مطلع القرن الثاني عشر للميلاد . فقد سافر الى الاماكن المقدسة ، من قبل الامير سفياتو بولك ، حفيد الامير باوسلاف أبن الامير فلاديمير أمير كييف ، أول الامراء المتنصرين في البلاد السوفياتية . وقد استمددنا بعض اخبار هذه الرحلة من محاضرة لالكسي بو فوليوبلسكي القاها في نادي مدرسة الاباء اللعازريين في دمشق سنة ١٩٢٤ ، نشرت نتفا منها مجلة المشرق الغراء (مجلد ٢٤ : ٦٤١) .

كان صاحب هذه الرحلة على ما يظهر رئيسا على بعض الاديرة في وطنه روسيا . ويلوح من كلامه انه كان دمث الاخلاق ، عريقا في التقى ، متمسكا بوطنه عالقا بحبه الشديد . ويفيد انه ولد في روسيا الجنوبية وان رحلته الى القدس تمت سنة ١١٠٦ ، كما يستدل من اخباره عن الصليبيين واحوالهم ، بعد فتحهم للقدس بزمن قليل .

وكانت روسيا في زمانه على وضع كثرت فيه القلاقل واستفحل الشر وعمت الفوضى . قضى في زيارته هذه ١٦ شهرا فوصف طريقه من القسطنطينية الى اورشليم بحرا . مدونا المسافات التي قطعها من مكان الى اخر على المقاييس الروسية في زمانه . فاذا ما مر بمكان ذكر اثاره المسيحية ومن اشتهر في تلك الامكنة من الرسل والقديسين والشهداء ، وينقل ما يسمعه من الاهلين عن اخبارهم ويذكر ما لتلك الامكنة من الخواص التاريخية والتجارية ففي افستسي يشير الى رسالة القديس يوحنا الحبيب والى المجمع المسكوني الثالث فيها ضد نسطوريوس ، سنة ٤٣١ ، كما يذكر معلومات جد مفيدة عن جزر الارخبيل وقبرص وينوه ان فيها ٢٠ اسقفا .

وبعد اسابيع بلغ الانبا دانيال سيناء ويافا ومنها الى القدس مارا باللد حيث قام بزيارة كنيسة الشهيد القديس جيورجيوس ، ونزل سائحا ضيفا في دير القديس سابا واقام فيه بضعة عشر شهرا متنقلا منه الى كل الاماكن التي ورد ذكرها في الاسفار المقدسة . وكان رحالتنا دانيال ذا مال وافر صرفه في سبيل اقتناء الذخائر التقوية . فبعد ان زار القدس واثارها المسيحية زار ضواحي القدس كجبل الزيتون وحديقة جتسمانية ومكان صعود المسيح ، وبركة سلوان وقبر العذراء مريم ونشط في وصف سبت النور وفيضان النار المقدسة .

ثم زار بحيرة لوط ونهر الاردن وتبطن الوادي العميق الذي اطل عليه دير مار سابا وزار بيت لحم وقصد مدينة حبرون وسنديانة ممرا حيث جلس ابرهيم ومغارة مكفيلة حيث دفن . ثم اخذ بزيارة الاماكن المقدسة الباقية كالسامرة وعمواص وارصوف وقيصرية،وزار بئر يعقوب وسبسطية وطاف جهات الجليل ووصف الناصرة وكنيستها الكبرى وانتقل منها الى يافا والى قانا الجليل، وجاء كفرناحوم وصيدا والجليل وصعد منه الى ينابيع الاردن ، كما زار جرش وبيسان والمدن العشرة .

ودخل حيفا ومدينة عكا ورقي جبل الكرمل ، ثم جاء بيروت وزار لبنان ووصف ثلوجه . ثم انتقل راجعا الى بلاده عن طريق البحر من يافا الى القسطنطينية ووقع في طريق عودته بيد القرصان من المسلمين وسلبت محتوياته.

وقد توالت رحلات الروس بعد رحلة دانيال الى الشرق . ويذكر التاريخ كقصة غير مثبوتة يتداولها الروس سفر بعض افراد العائلة المالكة في روسيا الى زيارة الاماكن المقدسة . وذلك سنة ١١٧٣ بشخص الاميرة فروسينا مع اخيها الامير داود واحدى صديقاتها ابراسيا.

من تلك الرحلات رحلة قام بها الشماس ايغناتي سمولنسكي فى القرن الرابع عشر ، والراهب روسيما والتاجر فاسيلي في القرن الخامس عشر،وف بوزيناكوف والتاجر اغوارا في القرن السادس عشر . وزار مصر في نهاية القرن الخامس عشر ميخائيل غريغوريف خازن الامير الروسي الكبير واحد كبار المتعلمين في عصره ، واقام في مدينة القاهرة أربعين يوما . وفي القرن الخامس عشر جاب الرحالة الروسي المستكشف للهند افاناسي نيكيتي ، بلادا عديدة في الشرق الاوسط وترك لنا وصفا مدهشا للبلاد العربية في اخبار الرحلة المثيرة التي وضعها .

وثمة رحالة روسي مجهول جاب تركيا والبلاد العربية

خلود

قد اغني ، والليل اصداء قلب   صامت ، يرقب الصباح الجديدا
واغني ، وآلاه شوق ، وروحي   رجع ناي .. يمضي وئيدا وئيدا

قد اغني ، والنجم يعكس اصداء غنا   ئي في عالم علوي
وتظل اللحون قدسية الضوء   تصب الخلود في الابدي

لا تسلني عن سر صوتي وما   معنى انخطاف الضياء من عينيا
فانا لا اعي ، دروبي سراديب   يظل المسير فيها عصيا

كل ما استطيع ارعش اوتاري   وافني في الاغنيات الحيارى
قد يموت النهار ، والناي في   كفي ، حنونا ، حتى يفيق السكارى

وانا لا ازال في قمة التل انا   دي المفاوز التائهات
يا رياحا يموت في صوتها الصوت   وتذري منابع الكلمات

قد يمل الزمان ، تفنى الحوا   كير ، يحل الخريف في كل حقل
وتفيض المياه من مهجة النبع   تجف الحياة من عرق طفل

وانا لا ازال اصدح باللحن   وتمضي شبابتي ، في الغناء
كلما اوغل الغروب .. وغاب الضوء   عني ، في شاسع الاجواء

قدر ان يظل عودي .. يناجي   الصخر والماء .. والفضاء النائي
قيمة اللحن .. في الخلود .. لتصغي   اذن الدهر ايما اصغاء

اربد ـ الاردن   احمد حسن ابو عرقوب

وكتب عن الامبراطورية التركية واصفا لها وصفا يعتبر من احسن المصادر الصحيحة لدراسة البلاد العربية انذاك. أما في القرن الثامن عشر فقد زار البلاد العربية الرحالة الروسي غريغوروفتش بارسلي كما زار بلاد الغرب .

ومن هذه الرحلات وغيرها الكثيرة كان الروس يقتبسون المعلومات عن البلاد العربية ويصححون الاوهام والمعلومات العدائية التي كانت تبثها الكتابات البيزنطية والاداب الاوروبية فى القرون الوسطى عن الشرق الاسلامي والعربي . وقد قدم العرب الذين اتوا روسيا من رجال العلم والدين معلومات قيمة عن البلاد العربية في عهد البطريرك يواكيم ، بطريرك انطاكية في القرن السادس عشر ، والبطريرك مكاريوس الحلبي وابنه بولس الكسي فى القرن السابع عشر .

وقد تكاثر عدد الرحالة والمستكشفين الروس الذين زاروا البلاد العربية في القرن التاسع عشر وتركوا عن رحلاتهم هذه مؤلفات ثمينة تفيض بالمعلومات الدقيقة امثال : بازيلي ونوروف ومورافييف ورآفالوفيتش وتزينكوفسكي وكوفالسكي .

فقد كانت رحلاتهم الى بلدان الشرق واتصالهم المباشر بشعوب الشرق العربي وبمعالم الحضارة العربية الاسلامية ، معينا صافيا من المعلومات والفوائد العلمية التي عرفت الروس بهذا الجزء الهام من العالم الذي ربطتهم به وببعض سكانه وشائج وثيقة مشتركة من وحدة العقيدة والايمان ونزعات ومطالب تمثلت في اهداف سياسة روسيا الخارجية وانبساطها نحو الشرق .

يوسف اسعد داغر

مددت يدي الى جيب سترتي ابحث عن علبة الثقاب لاشعل سيجارة .. فاذا انامل تعثر على شيء لم تكن تبحث عنه .. بضع زهرات من الياسمين الجافة اليابسة .. اخذتها فى كفي ورحت أنظر اليها باستغراب كثير .. وكنت كمن جابه منظرا شديد الفزع ، منظر ميت دفن منذ القديم ، ثم هب المدفون فجأة من قبره وجعل يتحدى الموت ويعيد قصة البعث وقصة الحياة من جديد ..

ظللت اسير فى طريقي بالشارع ، والسيجارة المطفأة تتأرجح بين شفتي .. وكفي المرتعشة تطبق على زهرات الياسمين اليابسة بوله .. ورحت ابحث فى زوايا الامس عن ذكرى عزيزة رائعة وقفت امامي تجابه الواقع فى تحد وكبرياء .

كانت « سعاد »تحب الياسمين .. وقلما وجدتها يوما وهي تتخلى عن زينتها المفضلة .. زهرات الياسمين تضفر منها عقدا تجعله فى عنقها الناصع البياض والذي يزاحم الياسمين نعومة وبياضا وعطرا .

كانت مغرمة بالياسمين الى حد عجيب .. وكانت تتفنن به فتجعل منه عقدا مرة ، او اقراط وضفائر مرات اخرى .

وكل منا فى الحياة يحب شيئا معينا يفضله على غيره .. اما«سعاد» فكان الياسمين كل شيء فى حياتها.

وعندما التقيت بها ، لاول مرة ، فى حفل كبير .. كانت مميزة على جميع المدعوات باناقتها الساحرة وجمالها الاخاذ ، وبياسمينات بيض ضفرت منها عقدا زينت به جيدها العاجي فى بياضه وصفائه .

وذكرني صديقي ، صاحب الحفلة، بغرام «سعاد»المشبوب بالياسمين .. فكان اول حديثي معها ان اثنيت على الياسمين ثناء جميلا .. ومدحته على انه اجمل الزهور جميعا .. ولو لم تكن هي نفسها ذات ذوق مرهف لما اولعت بالياسمين تاج الزهور وعنوان الامل البسام . وطربت كثيرا عندما سمعتني اقول لها :

ـ كأنك ياسمينة معطارة كبيرة تجسدت فيك النصاعة والعطر وجعلت منك اروع صورة رأيتها .

وضحكت فى طرب .. وبانت اسنانها فى بياض الياسمين .

وتلك المقابلة كانت بداية تعارفنا وبداية حبنا العظيم ..

لقد كنت دوما ابحث دون جدوى فى خيالي البعيد وعاطفتي المدفونة عن لهيب الحب الذي يعصف بحياتي متمثلا فى حسناء رائعة الجمال صافية القلب .. واتمثل هذا الحب المستعر يهب عاصفا يجتاح الكومات اليابسة من العشب ويحيلها بين يوم ويوم الى كتلة من نار تشتعل وتلتهب .

زهرة الياسمين

بقلم عدنان الداعوق

ونحن هكذا دوما فى الحب .. نتمناه ونحلم به ، ولكننا نريده كذلك ان يعصف شديدا ويهب محرقا مجتاحا .. وما لذة الحياة الا بالحب، وما لذة الحب الا عاصفا قويا . واذا انا فجأة اقابل « سعاد » من غير ميعاد .. فالمح فى عينيها نداء عميقا للحب الذي نشدته سنوات طوال ، واتوسم فى ابتسامتها السعادة والامن والرغبات الصادقة .

ووجدت نفسي رويدا رويدا ابحث عنها بعد تلك المقابلة الاولى .. وسالت صديقي ، صاحب الدعوة ، عنها .. ورجوته فى توسل ان يجمعني بها .

وكنت جادا فيما ارجوه واتمناه من رؤيتها ثانية لانني تنبأت بان مصيري يرتبط بمصير صاحبة الياسمين .

وقابلتها للمرة الثانية يوم جاءت لمعرض الرسم الذي كنت قد اشتركت فيه بعدة لوحات .. جاءت للمعرض ومعها فتاة اخرى قدمتني اليها وقدمتها الي على انها اختها « حسناء » وتأكد لدي من جديد ان « سعاد » خلقت من اجلي لوحدي .. وان مصيري فى الوجود لن يرتبط الا بها.

وكانت ابهى لحظات عمري ساعة اخذت يدها بيدي وكأني املك الدنيا وما فيها .. وجعلنا نطوف ارجاء المعرض ونستعرض اللوحات العديدة بمختلف مدارسها ومذاهبها .. وكنت اسمع بين اللحظة والاخرى الى تعليق او انتقاد توجهه « سعاد » فتقف فى انتقادها امام اللوحات موقف الفنان المرهف الحس الدقيق المشاعر .. تنظر بعمق وتفكير .. وتسأل فى تمهل .. وتجيب فى روية تدل دلالة واضحة على انها فنانة .

وكانت الفتاة الاخرى شقيقة سعاد تسير الى جانبنا تشاركنا فى الكثير من آرائنا ونظراتنا ولكن الميزة الواضحة فيها اغراقها الشديد بالهدوء الذي يحيطها بهالة سامية .

وكان من جملة اللوحات التي اشتركت بها لوحة بعنوان « زهرة الياسمين » وهي لوحة تمثل فتاة رائعة الحسن فتانة التقاطيع شبيهه الى حد كبير بسعاد .. ولا غرو فى ذلك لانها هي نفسها كانت الوحي فيما رسمت خلال ايام طويلة امتدت منذ اللقاء الاول حتى يوم المعرض .

ووقفت سعاد امام اللوحة موقف المشدوه .. واستمرت تنظر اليها طويلا ، حتى ان شقيقتها حسناء قالت:ما اشبه هذه اللوحة بسعاد

قلت:فى الواقع لم يكن فى نيتي ان ارسم شخصا معينا .. الا ان رائحة خاصة وربما هي رائحة الياسمين كانت تسيطر على اجواء نفسي فحركت هذه الرائحة ريشتي فجاءت كما هي الان ..



وضحكت الشقيقتان ، وارضيت رغبة مرتعشة في جوانحي .

وبعد ان انتهى المعرض بايام بعثت لها بلوحة « زهرة الياسمين » ، وقد حاولت جاهداً لابقائها ، مع كلمة اهداء واعجاب ..

وفي عشية اليوم نفسه سمعت صوتها بالتلفون يدعوني لزيارتها .

كان علي ان اقبل دعوتها متلهفا متشوقا ، فقد حلمت العمر ان القاها وان اجلس قربها وانعم برائحة الياسمين عن قرب بعد ان عشت واياه معا في خيالاتي الوحيدة .. ورفضت دعوتها بمنتهى البساطة وتعللت لها بسبب واه لا صحة له .. واعتقدت ان اعتذاري عن تلبية الدعوة سيزيد في نفسها الرغبة ويقوي رابط المحبة بيننا

وبالفعل صدقت ظنوني .. فلم يمض اليوم نفسه حتى جاءتني في اليوم التالي منذ الصباح تعلن الى عتابها الحلو بعدم تلبيتي دعوتها .

ولمحت وهي تقول لي عتابها اللهفة والعاطفة المكبوتة التي ظلت تجاهد في سبيل كتمانها الا انها كانت تظهر في رجفة الصوت ورقة العبارة .

وشكرتني على الهدية بقولها :

– انها اجمل هدية لاروع فنان ..

وتعانقت عيوننا .. ورفرف حولنا شعورنا باننا سعداء اجتمعت امانينا وتحققت غاياتنا وجمعنا الحب الصادق الامين .

وتلاقينا مرات اخرى ، كانت تأتيني الى المرسم وتمكث الى جانبي الساعات الطوال .. تراقبني وتعيش معي في الجو الذي اخترته لنفسي .. وكانها وهي تجلس صامتة ، الى جانبي لوحة بالغة الروعة والبهاء .. ومن صنع الخالق وتكوين السماء .

وجلست سعاد بعد ذلك امامي اياما طويلة رسمت لها فيها ابدع لوحة في حياتي ..

ولم تخل لوحة سعاد الجديدة من لون الطبيعة وروعة الزهور .. والياسمين بصورة خاصة ..

الياسمين الذي لم يكن له اي مكان في حياتي قبل التعرف بسعاد .

وعصفت رياح الحب بحياتي عصفا هائلا .. فاذا انا اهمس الى نفسي بالحب السامي الذي اكنه لسعاد .. وانها الانسانة الوحيدة التي يمكنها ان تغير مجرى حياتي .. وهي وحدها التي تستطيع ان تهبني السعادة بنظرة منها .. او تمنحني الشقاء اذا ما اغمضت جفنها الساحرعني .

وكان علينا ان نكلل حبنا بضفيرة من الياسمين تجمعنا في بيت واحد .. نعيش معا ونسعد في الحب والحياة .

ولكن حدث ان مرضت سعاد .. فلازمت الفراش فترة من الزمن كنت خلال ذلك اذهب اليها كل يوم .. واجلس بجانبها على السرير لحظات تطول وتطول ، احادثها واسمع صوتها ينساب الي وكأنني اسمعه يأتيني من اعماق الوجود .. ونظل نبني الآمال ونمهد في طريق الحب الذي جمعنا معا .. ونرش على طول الدرب ازهار الياسمين ...

كان مرضها في بادىء الامر بسيطا علله الاطباء كحالة من حالات التعب والارهاق .. ولكن زاد التعب ، واشتد عليها الامر واصبح الفراش مكانها الوحيد .

وابتدات اعراض المرض تتوضح شيئا فشيئا .. حتى ظهر في النهاية ، وما كاد المرض يسمى حتى صعقت وانتابتني حالة من الذهول المطبق كنت لا اصحو منها الا حين تبعث سعاد في طلبي .

واشتد المرض ، وقويت العلة .. وسمعت الطبيب يهمس لوالدها يوما في خشية والم :

– انها مريضة بالسل بالدور الاخير .. وقد يخشى من عدم شفائها ...

وحين لمحت الدمعة الساكتة في عيني الوالد المسكين لم استطع الصبر .. فتوجهت الى المرسم وهناك اطلقت لعيني الدموع .. وظللت ابكي حتى الصباح .

هل من الممكن أن تموت سعاد .. ولماذا سوف تتركني ما دمت احبها ؟ .. اليس بالحب يحيا الانسان .. وما دمنا نملك الحب فلماذا لانعيش في امن من المرض وفي رخاء من شرور الدنيا وآثام الحياة ..؟

وصورت لي خيالاتي تلك الليلة صورا رهيبة مفزعة ظللت ارتعش منها طويلا . ولم تكد تطلع اولى بشائر الصباح حتى كنت اقطع الطريق لرؤية الحبيبة ولاطمئن على صحتها .

كان الطريق مقفرا .. والناس ما تزال نائمة في بيوتها وانا اسير لوحدي ولا اسمع الا صوت حذائي يردد اغنية اليمة الوقع محزنة الترتيل .

وشممت رائحة عبقة تملأ الاجواء .. وعطرا سحريا سماويا يهب فجأة على الوجود فيحيل الكون كله الى مبخرة تفوح منها رائحة حبيبة الى نفسي قريبة من قلبي رائحة الياسمين .

لم ادر كم من الوقت مر علي وانا مسمر القدمين عند باب غرفة سعاد التي رقدت فيها .. كنت انظر نحو السرير والمح بين الدموع العالقة في جفني عقدا من زهرها الحبيب وقد نام في هداة على صدرها الذي سكن وخفت منه الحركة .

وشعرت بيد حزينة تربت على كتفي ..

كانت يد حسناء التي قادتني خارج الغرفة ، وصوتها الباكي يقول :

– تعال نخرج .. ولندع سعاد نائمة فانها تريد ان تستريح .

كنت ما ازال اسير في الشارع والسيجارة بين شفتي .. وكفي المرتعشة تطبق على زهرات الياسمين التي بعثت في نفسي كل هذه الذكرى .

واعدت الزهرات اليابسة الى جيبي .. في حنان مشوق ولهفة حرى .. وظللت امضغ السيجارة المطفأة دون ان اشعلها كقلبي الذي انطفأ يوم خبا نور الحياة في عيني سعاد .

حمص   عدنان الداعوق

العاشقة والنهر

⊙

مرت على النهر وقد عربدت ... في صدره امواجه الثائره
تسأل عن عاشقها المجتبى ... وعن ليالي حبه العاطره
ودمعها يفصح عن لهفة ... عارمة ، وصبوة ثائره
والفجر كالرسام في غرفة ... تغار منها الليلة الكافره
تخط في الافاق لوح السنى ... ريشته المبدعة الساحره
والطير تلغو ، والشذى بركة ... تسبح فيه النحلة الطائره

* * *

قالت له يا ناسكا لم يزل ... يتلو صلاة الخصب للزارعين
ويا سماء لم تزل ثرة ... تهل بالري على الظامئين
ويا بساطا للندامى اذا ... جفت كؤوس في يد الشاربين
هل اطربت سمعك يا كاهني ... انغام صب مستهام حزين
او عانقت روحك في صفوها ... روح تشيع البشر في العالمين
اني هنا حائرة لم ازل ... استاف من جرحي عبير الحنين

* * *

قال لها النهر وقد غمغمت ... امواجه الصاخبة الهائله
قد مر بي امس فتى شاحب ... كيانه النحيلة الذابله
تنم عن اشجانه دمعة ... مطلولة وآهة قاتله
في كفه قيثارة لحنها ... يشجي فؤاد المراة الثاكله
قلت له مالك يا شاعري ... وما جرى بالامس للسائله
اجاب يا نهر اذا اقبلت ... فقل لها ، سارت به القافله

* * *

وانطلقت مجهشة باكية ... تذيع سر الحب للداليه
والريح في الافاق مجنونة ... كأنها الصاعقة الداويه
والشمس جرح في حواشي السما ... نمت عليها الحمرة القانيه
تبث للدرب الذي ضمها ... ولفها اشجانها الداميه
يا ليتني اصبحت يا شاعري ... ريحانة تزهو بها الانيه
او كنت منديلا اذا عطرت ... كفيك انفاسي تلهت نيه

بغداد

عبد القادر الناصري



جبهـــة الغيـــب

احدوثة شرقيـــة فى خمس مراحل ـ تـاليف الدكتور بشر فـــارس ـ الرسوم للفنان القاهري صلاح طاهر ـ ١١٦ صفحة حجم كبير ـ منشورات دار مجلة شعر ببيروت ـ مطابع دار مجلة شعر ببيروت

●

اسلوب الدكتور بشر فارس ، والاسلـوب هـو الرجـل حسب اشارة لونجينوس ، تعبئة كثيفة ، حشود من الصور ، والتجارب ، تنوء بحملها الكلمة ، ويحملها الجو . هذا الجو هو فى الاصل للشعر ، للصوفية . لكن الوجودية التي شملت بزخمها ، وتماديها آفاق العصر ، تعـرض الجدائل المنفتلة فى ساعديها ، وعنقها ، وانسحابة ادناها ، وهي تصيح بلسان الارادة التي اطلقها شوبنهور ، انا قادرة على كل شيء ، انـا جماع الفكر البشري ، ثم تعود تعوي وتئن ، ولكنني هل قدرت على شيء؟ كلمة الدكتور بشر ، محصنة بمقدار ما هي منفتحة ، لها دسم وحدها ، ولها فوران بركاني فى التعبير ، معاقدها مشحونة بالطاقة ، تنهمر على الذهن صورا والوانا ، وعوالم .

قد يحتاج المدماك البشري الى دعائم متعددة ، لكنه ما ان يرصف لك عدة مشارف ، حتى يتركك تكمل انت العمارة ، كي تلحق به ، فان لـم تستطيع فهذا ليس من شانه ، انه يذكرك فقـط ، وبابتسامة الساخر ، العطوف ، المستوحش ، بقولة : لابي تمام ، ادع لك ايضا ان تذكرها ...

معرض المسرحيـــة :

ـ الزاويـة ، اهل الزاوية ، ما هي ، من هم ؟

ـ الارض ، النـــاس .

ـ والجبـــل ؟

ـ المصيـــر

ثم هذا الكسيح ، وذلك المكفوف ، ماذا يصنعان بين اهل الزاويـــة وعنـد التصعيـد فى الجبـل ؟

هما كل شيء ، بل هما يمثلان اهل الزاوية ، يمثلان الصعود ، حركة دائبة فى الزمان ، وقابلية متطورة فى المكان ، الكسيح هو العقـل ، المكفوف هو الارادة ، وهنا يظهر لنا كم ان المؤلف ماخوذ بمؤلف شوبنهور العالم « كارادة وفكرة » .

بيد ان الدكتور فارس ، لم يجعل للكسيح والمكفوف مجالا فى المسرحية يطلان منه فى معظم انكشافاتها .

بين الكفيف والكسيح ، يصدر عمود يفترعهما ، يجتاز شأوهما ، وحده هو القادر على تكييف المادة ، والامساك بتلابيب الزمان ، انـم البطل ، البطل الذي يستطيع مصارعة الاقدار والتغلب عليها .

يسلبه المصير شكله ، يتغلب على المصير ، ببقاء لهاثه الذي هـــو اعلان دائم عن نشوب المعركة .

بين العقل والارادة ، حيث هما متلازمان ، تقوم حيـــاة البشر ذات الوتـــر الرتيـب .

البطل ، الفنان ، العبقري بخط عام ، يجمح بخياله ، بعاطفتـه ، ثم يصـــل بحنينـه الى ابعد البعيد .

بذلك الحنين يصبح احد الالهة .

وبذلك الحنين الذي يربطه خيـط وهمي بالعاطفة يعود فيسقط .

عندما ينطلق الى العالم الذي ترسمه عيناه على حدود المشارف القصية ، يشعر انـــه خلص من نداء الارض ، من تهمة التـراب ، لكن سرعان ما يصرخ به ذلك التراب عـــد ، لتموت عند قدمي .

الامام هو ذلك التراب ، المتجمد ، الـذي يجرجره الزمان فلا يتجرجر الا بما يشبـــه ضجيج صنوج تنهار من جبل ، وكما تتهدر عظام تترامى من خشخاشة .

« اسخر من السهل ما شئت . هاه ! اعلم ان جهاته الاربع مقسمة على احسن نظام ، محددة . لكي نحيط بها لا نحتاج ان نهيم مع فلتـات الهذيان ، هذيانك : يهرول ، يجمجع ولا يجدي . اما نحن فنمشي ، ولا نتسكع ، الى غاية مبيتها اسفل الجبل » .

يتخذ المؤلف من «زينه» محور العشق الارضي اما ، اختا ، صديقة ، ولكنه ساعة يرقصها فترفض ، ساعة يريدها لامر ، يظهر لنا كيف يواكب التسلط على الحروف لتخلق جوا لم ينغمر « بخنسكي » باعمق منه ، وكيـف يعقد بين الفن والطبيعة مشاركة وجودية حميمة .

« كيف ؟ تحجمين عن الرقص ؟ فى هذا العيد الفريد ؟ الان انت ، انت البرق ، ينتزى فيمزع غيم اليأس ، قبل ان يدب على جباهنا ضباب سنـة كاملة . ايه ، رشيقة ، صاولي الرياح ، فتترنح معك صبابات لنا زائلة .. ها هوذا الخلاء ، ديوان الخطرات الشوارد ، سلطي انامل هفهافة تترسل فيه ، عسى ان تنقل من ملح اللمح رهافات المسرة ... وهذا الصعيـد ، شراب الدماء ، دعي جلبة البدن تقرعه . وعلى وجه الحقـــل تضوري فاقذفي زفراتنا » .

وعندما يرتل « هادي » فى سمعها نغمة عن الليل ، يخيل اليـك ان الصورة لا تستاين الا لكبار ادباء العصر .

على ان « فدا » يفتح فى المسرحية آفاقا لحرية الروح ، لانعتاق الخيال ، فيعمى وجه الامام من غبار الاجنحة المنساحة الى فوق . حيث يصـل البطل الى الايمان بنفسه وحده . وهنا ترى ان المسرحية تمشي فى اجواء الوجودية المطلقة ، تلك التي ندرك التماعاتها عند سارتر وكامو ، مبتسمة بشيء من الخيبة لتخلف كلوديل ، ومارسيل . ثم اننا نجد فى جبهـــة الغيب الافق النيتشي والشوبنهوري متلازمين كانهما اشتقا مــن نبعة واحدة مع تباين منازعهما .. فى الظاهر ...

« مساء بعد مساء ، سالقي اليكم عند شجر البرتقال بحجر ابيـــض ينبئكم بسلامتـــي » .

« تلتفون علي وتسالونني ان افتك بهذا الكسيح ، وبهذا الاعمى ، لانهما فتشا وقلبهما خلو من اليقظة » .

كما يظهر اثر الانجيلية فى صور المسرحية ، لذلك تلتمع صـور اخرى مستعارة من مشارف الشعر الغربي . « نحن بشر ، حركاتنا هي المزلق الى سرداب الموت ، اما الحب فحابس الدهر الدائر فى دوامة الجد » .

اما « هنا » فهي تمثل حب الفطرة ، الابله ، النقي ، الحب للحب ، ويصعد بها حبها الى ان تفنى فيمن تحب .

انها تمثل الجانب المقابل فى الحب ، « لزينه » وهي من الطف وجوه المسرحية ، ومعاطفها .

« زينه » لا تدرك مثل « هناء » ، ان الوصول يقتضي الشوق الموصول ، فهل اخذت امثولة من « فدا » لتواكبه فى شوطه البعيد ؟

« الليلة قلبي على سره انطوى
حق لؤلؤة ما غمزها ثاقب
يرمقها لمح رفيـــق
هوى من كـوى محاجرك

أيـــن انـــا منـك ؟
السها لك ، تطوعت لكفاح الافق بجناح الجوى .
ولي الثرى ، من هنا اليكيقفز حنان الرجا فيشرفعلى نهمات شططك.
لـــح رفيـــق
فوح من لهف فيك ، ولد فى غاب الغرابـة
طار فى اثير يرهقني
انـــت مشغـــول بالكمال
وانا ظلك الصبور ، اجر جيشا من الجراح لم ينفر من حصن الضمير نواحـــي الصامت حداء همـك الكبير »

غير ان « زينة » نفسها وقد عرفها « فدا » لا تحب فى حبه الا نفسها، يراها ولا يكاد يصدق انها تستعلي شيئا فشيئا ، ولكنها لا تزال تغـالب اشواق الارض ، فى ترديد بصرها بين الاعلى وبين الادنى ، وبدأ «هادي» يحبها ، وادركت بعد مراس انها لم تعد شيئا آخر يختلف عن «هادي» .

« ما احراني الان بان اناديك : يا حبيبتي . هذا موعد الفراق . لحظة بترع حس من حس تتهالك الالفاظ عند حنجرة تنشرم . فلا يحق الا للفظ قدسي ان يقلب حاجزا من دماء .. اني قاصد الى حيث تسبح تراتيل لا تنفصل ابياتها ولا تتمهل . فى تلك المناسك اغوص على نغم نجا مـــن التشتت ، تمد رجعه فى انفاسنا هنا كلمة الحب . اليوم لي ان اقول الكلمة ـ يا حبيبتي ـ لاني قريب الانعقاد بالقوة الراسخة ... آه كم يضحكني الناس حتى النساء متى رددوا ، فى نـــــبرة جازمة ، عبارات تقتبس من حمو العواطف . ربما صفت نياتهم حين يذكرون الحب ، لكنهم يحفونهباصوات يقتطعونهامنطنطنةالصبوات.فسرعان ماتحرف اشارات الضمير.شفة ترقصالحديث، والزمان الماكر يرهقها بمهماز هلع ، تتهاوى الحروف ثمارا فجة ... نحن بشر ، حركاتنا هي المزلق الـــى سرداب الموت ، اما الحب فحابس الدهر الدائر فى دوامة وجد » .

واذا وصلنا الى « القوال » نواجه الشاعر بذاته ، الذي يستطيع ان يوازي البطل . فهو مثله يعاني مرارة الكفاح للخلاص ، ولذلك يسأله ان يخبره ، ان ينقله او يساعده على التحول ، وهل يستطيع ان يتحول بغير الخيال الذي هو الجسر بين عالم الشقاء وبين عالم الغبطة ؟
وما هذا الدوار الذي يصيب المصعد الا القلق بسبب الواقع ، الـذي هو كوة على الموت ، وتيار للكآبـة .

« تلك المقاطع كانت دفقات من عيث الحب ، احيتك اما هي ففصت بها ... يا ريح النشيد وصل فيضه باعجاز مشيك هنالك : ودع الوادي مجنونا بك ، مسك ، استخفك ، اترفك ، حتى هزأت بمرارة تربتنـــا وانكرت اهلهـــا » .

جبهة الغيب ، ابعاد عقلية ، وفنية ، لا ينغمر فيها من لم يعان تجربة الفكر البشري على مداه ، ومطارح آفاقه .
من لم يقم بتلك الرحلات الخلاقة ، التي تجتاز شأوا الصلاة ، الى نعيم الموسيقى ، وحرمات الظلال والاضواء والاشكال والالوان .
من لم يعش تجربة المسرح الحديث ، شاعرا ، ممثلا ، كي يفهم ان هذين الاثنين يلزمهما قياس واحد ، حيث لا يجب ان يزيد واحد منهما عن الاخر بالعبقرية ، والا فاتت الغاية ، وبعد المقصود .

« مهلا ، هادي ! انه لا يزال فيها . اليه يحدقون ولن يكفوا . يا له من نصر ! ما حسبتهم يبلغونه ... نصر عابر ، نعم . هل للبشر ان يفلحـوا فى قطع الحبال تشد سواعدهم الى ذبذبة الجبن؟ ارخاء الحبال برهة بعد برهة ذلك كسب عظيم . هب استاذك ، ثقب صور المحظور ، الا ان كره البشر للاعجاز لن يبطىء أن يلحم الثغرة . اما هو فلن يغيب عن البصائر ابدا : الباقي سر ما ذهب ... ان يترك المرء الارض عن رضى ذلك سبيله الى الدوام : يترك الاشياء كلها ، حتىالحب ، تمجيد للحب . يقبلعلى حسه ينزه مداره فيحتفي بمنح غمضت ، او مضت ، من كنوز الهـــام منيع . يستصغر الحياة فيخاطر باللظى عزف على العضل ورنم فىاللحم. يخاطر وهو يخف الى حيث الريح عربدت فاضمرت اعصارا عصفاته قد فات خناجر . هذا الذييحدقون اليه ، يا هادي : نجوم دارت على قطب الحق ، كلوم حول جيد النور .. يا لشظايا قلب كبره جبروت الزوال ».

اذا كان لكل سمفونية معقد تنفلت منه النبرة الاخيرة ، فلا احلى من ان ننقل الرجة التي تلتفت الى آخر لهثات السراج ، ساعة ينفث القوال كلمته التي لا ينساها مدى ، لانها هي بذاتها ليست من عالم النسيان ، انها رعشة الوصال ، واستفاقة الكمال
« هل خرجنا من اسطورة الزمن؟ » .
نعم ، الى فترة ،
ولا ، حتى يحين الموعد .

علـي شلق



● قصة الفن الحديث ـ الجزء الاول ـ الانطباعية واعلامها ـ تاليف الدكتور سلمان قطاية ـ الغلاف بريشة محمود حماد ـ ٦٠ صفحة ـ مع عدة صور ـ حجم كبير ـ مطبعة الشرق (؟)

● كلمات لا تموت ـ مجموعة شعرية ـ لعبد الوهاب البياتي ـ ٢٠٨ صفحة ـ منشورات دار العلم للملايين ببيروت ـ مطابع دار العلم للملايين ببيروت .

● نشوء الكون ـ تاليف جورج جاموف ـ ترجمة وتقديم اسماعيل مظهر ـ مصمم الغلاف مهندس الديكور محي الدين ابو ذكرى ـ ٢٤٨ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ مطبعة مصر بالقاهرة .

● دستور الام : طفلك حتى الحادية عشرة ـ الجزء الثاني ـ تاليف الدكتور بنجامين سبوك ـ ترجمة محمد المعلم ـ مراجعة الدكتور محمد نظيف ـ ٢٨٠ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك ـ منشورات مكتبة الانجلو المصرية ـ مطابع دار القلم بالقاهرة .

● اعرف مشكلاتك ـ تاليف ه. ه. ريمرز وسي. ج. هاكيت ـ ترجمة الدكتور محمد عماد الدين اسماعيل الاستاذ المساعد بكلية التربية بجامعة عين شمس ـ اشراف وتقديم الدكتور عبد العزيز القوصي المندوب الدائم للجمهورية العربية المتحدة بهيئة اليونسكو ـ ١٢٤ صفحة ـ الكتاب ٣٨ من سلسلة دراسات سيكولوجية ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ مطبعة مصر بالقاهرة .

● مساعدة الاطفال على حل مشكلاتهم ـ تاليف روث سترانج ـ ترجمة صلاح الدين لطفي رئيس قسم بادارة التدريب بمعاهد المعلمين ـ اشراف وتقديم الدكتور عبد العزيز القوصي ـ ١٢٤ صفحة ـ الكتاب ٣٩ من سلسلة دراسات سيكولوجية ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ مطبعة مصر بالقاهرة .

● كيف تستمتع بوقت الفراغ ـ تاليف وليم منجر ـ ترجمة الدكتور محمد احمد الغنام المدرس بكلية التربية بجامعة عين شمس ـ مراجعة وتقديم الدكتور عبد العزيز القوصي ـ الكتاب ٤٠ من سلسلة دراسات سيكولوجية ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ مطبعة مصر بالقاهرة .

● فلسفة الحياة العامة ـ تاليف والتر ليبمان ـ ترجمة عثمان نويه ـ تقديم مريت غالي ـ مصمم الغلاف المهندس محي الدين وهبة ـ ٢٥٦ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية ـ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة .

● كلمات فارسية مستعملة في عامية الموصل وفي انحاء العراق تليها كلمات كردية وهندية ـ تاليف الفقيد الدكتور داود الجلبي الموصلي العضو المراسل بالمجامع العلمية في بغداد والقاهرة ودمشق ـ ٢٢٤ صفحة ـ حجم كبير ـ ساعدت وزارة المعارف العراقية على نشره ـ مطبعة العاني في بغداد .

● الخائن ـ مجموعة قصص ـ تاليف الدكتور عبدالسلام العجيلي ـ ١١٢ صفحة ـ منشورات دار الطليعة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

● السياسة العربية بين المبدأ والتطبيق ـ تاليف صلاح الدين البيطار ـ ١٤٤ صفحة ـ منشورات دار الطليعة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● كنت طبيبة في اليمن ـ تاليف كلودي فايان ـ ترجمة محسن العيني ـ ٢٧٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الطليعة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● مدخل الى علم الاجتماع ـ تاليف ارمان كوفيليه ـ ترجمة نبيه صقر ـ اشراف وتقديم الدكتور كمال يوسف الحاج ـ ٢٦٤ صفحة ـ الكتاب رقم ٤ من سلسلة المكتبة الفلسفية ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطبعة فضول ببيروت .

● تاريخ المسرح ـ تاليف ليون شانصوريل ـ ترجمة خليل شرف الدين استاذ ادب عربي ونعمان اباظة استاذ ادب فرنسي ـ ٢٢٤ صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطبعة كرم ببيروت .

● اديبات لبنانيات ـ تاليف املي فارس ابراهيم ـ ٢٣٢ صفحة ـ مع عدة صور ـ منشورات دار الريحاني ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة).

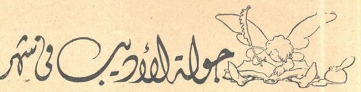
● Neither Five Nor Three — by Helen MacInnes — 240 pages — Special Student Edition — Published by Popular Library, Inc. New York — Printed in U.S.A.

● Banners at Shenandoah — by Bruce Catton — the text of this book has been specially prepared for the beginning reader— adapted by Herze Fife — 128 pages — Ladder Edition published by Pyramid Books, Inc., New York — Printed in U.S.A.

● The Umbrella Garden — A Nivel of Modern China — by Maria Yen — the text of this book has been specially prepared for the beginning reader — adapted by Angela Paratore — 128 pages — Ladder Edition published by Ballantine Books, New York — Printed in U.S.A.

● Doctors to the World — by Murray Morgan for the beginning reader — adapted by Cryssie Ann for the beginning reader — adapted by Cryssie Ann Hotchkiss — 128 pages — Ladder Edition published by Pyramid Books, New York — Printed in U.S.A.

● Transformation — The Story of Modern Puerto Rico a colony that became free — by Earl Parker Hanson — the text of this book has been specially prepared for the beginning reader — adapted by Robert Lado — 128 pages — Ladder Edition published by Popular Library, Inc., New York — Printed in U.S.A.



الذكرى المئوية الحادية عشرة لجامعة القرويين

بقلم رينيه ماهيه
نائب مدير عام منظمة اليونسكو

●

انه لشرف عظيم لي ان انقل الى جامعة القرويين آيات تقدير منظمة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة . وانني الى جانب الشرف الذي توليني اياه هذه المهمة الجليلة ، لاشعر بسعادة شخصية عظيمة بداعي الذكريات التي تربطني بهذه المدينة الفريدة التي يزيدها مرور السنين قيمة وجلالا .

ان جامعة القرويين ومدينة فاس لم تعرفا منذ اكثر من الف عام الا حياة مشتركة واحدة ، ومن النادر حقا ان نشهد ارتباطا متينا كهذا بين جامعة ومجتمع ، او بين جامعة وشكل من اشكال الحضارة الانسانية . وتظهر معالم هذه الرابطة الوثيقة في كل شيء يحيط بنا اليوم ، فهي تطل علينا من علياء المكان الذي نجتمع فيه الان ، متمثلة بفنه المعماري وبالذكريات التي يثيرها في النفوس .

ولعل السبب في ذلك هو ان هذا المكان كان في الاصل دارا للصلاة والعبادة ، فامتزجت فيه فيما بعد عقائد الايمان واليقين بالمظاهر الثقافية . ومما يجدر ذكره انه منذ ان امر نبي الاسلام ، عليه الصلاة والسلام ، ببناء « الصفة » في المدينة المنورة وجعلها مقرا للدراسة والمناقشة اخذت كافة المساجد والجوامع تسعى طوال اربعة عشر قرنا الى السير على الدرب نفسه كي تصبح اماكن للتعليم والتحصيل بجوار رسالتها الروحية . وقد تمكن بعض هذه الجوامع من نشر نفوذه واثره واضافة دروس الادب والتاريخ والفلسفة والعلوم الى دروس الدين والشرع . وهكذا ظهرت المستنصرية في بغداد والعدلية في دمشق وجامعة قرطبة ، ثم الجامعات الاسلامية الكبيرة التي ما تزال ثلاث منها باقيات حتى الان ، وهي الازهر في القاهرة والزيتونة في تونس ثم جامعة القرويين في فاس . ولقد ازدادت معارفنا اليوم عن اثر هذه الجامعات العميق في تطور العلوم والحركات الفكرية ابان العصور الوسطى الاوروبية كما اتضحت لنا اكثر من ذي قبل معالم الدور الذي ساهمت به في نهضة الجامعات الغربية . ومن ثم ، فان احياء ذكرى جامعة القرويين يتيح لنا اليوم فرصة الاعراب عن مشاعر التقدير لهذه الجامعة والاعجاب بها ويذكرنا باقدم تقليد عرفه التعليم العالي في مختلف مراحل تطوره حتى يبلغ مرحلته الحاضرة دون انقطاع .

والى جانب كون القرويين مسجدا جامعا وجامعة ، فهي في الوقت نفسه مكان لالتقاء الاهلين . فتقاليدها الروحية تنطوي على تعاليم اجتماعية ، كما ان ركن علمائها مفتوح الابواب دائما امام كافة الناس . ويبعج هذا الركن بالحركة وبغدوات وروحات الحياة اليومية ، فهو المكان الذي يستطيع المرء ان يفتش فيه عن استاذه او صديقه طلبا للمشورة او الحكمة او المعونة . وتشير الرواية الشهيرة التي تسرد عادة عن ايام القرويين الاولى الى التكاتف الاجتماعي ومشاعر الاخوة الانسانية التي كانت سائدة في ذلك الوقت . اذ يقال ان اختين صغيرتين قدمتا ما تملكه يداهما لتشييد هذا الصرح الذي اضفى عليه ملوك المغرب فيما بعد سمات العظمة والجمال .

والوظيفة الاجتماعية التي تقوم بها جامعة القرويين تصل في النهاية الى اداء دور وطني . فهي الجامع الرسمي الذي تعلن فيه المراسيم ، في حين تؤدي الجامعة دورها الخاص بها فيما يتعلق بالشؤون العامة وقد تخرج في هذه الجامعة خلال تاريخها الطويل كبار الموظفين الحكوميين وقضاة الدولة المبجلين . وهؤلاء الخريجون هم الذين تسترشد بهم السلطة الحاكمة للتثبت من مطابقة ما تنوي فرضه من ضرائب واتخاذه من اجراءات . ومن هنا كان لطائفة المثقفين المتكونة من جيل لاخر اثرها المعنوي في حياة المدينة كما كان لتعاضدهم الثقافي والتقائهم عند مبادىء واحدة اثرهما الكبير في دوام الوطن .

لقد كان الالتحاق بالقرويين وما يزال حتى الان يعني الانتماء الى هيئة مبجلة لها قيمتها . فالدراسة فيها تعني الاشتراك في طريقة حياة معينة واشغال مكان معين في احضان الحضارة . وتنفرد الجامعة بمزايا عديدة نذكر منها اهمية المثال الشخصي والتعليم الشفوي المباشر والاتصال القائم بين المعلم وتلميذه وحياة التلاميذ المشتركة وكافة الاجتماعات والعلاقات الانسانية التي تنسج خيوط التعاضد العاطفي والعقلي فتؤلف نوى من الشعور بالانتساب الى كيان كامل يشكل ثقافة قائمة بذاتها . وما احرانا ان نذكر في هذا المقام ان الفضل في تعريف طبيعة هذا التعاضد وبراعة تحليلها انما يرجع الى ابن خلدون العظيم ، اشهر كاتب للدولة ومؤسس التاريخ الثقافي الذي ولد بين ظهرانيكم .

ان هذه الوحدة العميقة والرابطة القوية التي تلم شعث تاريخكم وتحفظ كيان مجتمعكم ومظاهر ثقافتكم وتقوم شاهدا على ايمانكم تطبع جامعتكم بطابعها الفريد الذي ما تزال محتفظة بقيمته حتى الان بما قد ينطوي عليه من اهداف جديدة .

واي موضوع في الحقيقة يفوق في اهميته موضوع تاثير الجامعة في حياة الجماعة ؟ ان توسيع التعليم وزيادة المقاعد المخصصة للتعليم العالي تؤدي بطبيعتها الى القضاء على كل عزلة ثقافية ، كما ان احتياجات الدولة ومطالب المؤسسات بل والافاق المترتبة على تغيير الوسائل التقنية تحتاج جميعها الى الاستفادة من مجهودات الجامعة. والحق انه يتعين على الجامعة بالاضافة الى المهام الرئيسية الملقاة على عاتقها من اعمال البحث وتخريج الاشخاص ، ان تتحمل مسؤوليات جديدة ذات طابع اقتصادي واجتماعي وثقافي . اضف الى هذا ان الجامعة تحتل مكانا مطرد الاهمية في صرح التطور الوطني بالنسبة لبلد ناشىء متطور ثري بتقاليده العريقة مثل بلدكم الكريم . فالجامعة مطالبة اذن باعداد صفوة المستقبل ، كما انها مطالبة ايضا بجمع التراث الثقافي وتسليمه الى الاجيال اللاحقة ، ذلك التراث الذي يضفي على المجتمع سماته الخاصة به ويكسبه الاحساس بدوامه كما انه يكشف له في رحاب العلاقات الدولية عن النصيب الثمين الذي اسهمت به الحضارة الاصيلة . فباستطاعة الجامعة باعتبارها من دعامات الثقافة ان تكفل دوام الوطن . ومن هنا يكتسب عيد القرويين الالفي مغزى غير مغزى التذكرة التاريخية البسيطة .

وفي وسع بعض مبادئكم التربوية ايضا ان ترتدي ثوبا جديدا في وقت يظهر فيه من كل جانب خطر تعليم يقتصر على اعداد المتخصصين او التقنيين او المتفقهين . فمبادئكم كانت تهديكم دائما لا الى نقل المعارف الى الانسان وحسب وانما الى اعداد هذا الانسان بكليته وجعله ممتلكا لجميع قواه وملكاته . وتقاليدكم لم تعرف ابدا التفريق بين الجانب النفسي والجانب العقلي وقد كان بحث معلميكم عن الحقيقة يتميز في الوقت نفسه بالبحث عن الحق والعدالة . ولقد علمت ان لفظة « العلم » باللغة العربية تعني العلم والحكمة معا ، وان لفظة الحق تجمع بين مفهومي العدالة والحقيقة .

واذا اعوزنا المثال في هذا المجال ففي وسعي ان اذكر ابن طفيل

ابن هذا البلد الذي كتب الرواية التربوية المعروفة باسم « حي بن يقظان » ، فكان اول ملهم لجميع ما كتب من هذا القبيل من روايات وحكايات تربوية . وقد اطلعنا ابن طفيل في روايته على تفاصيل « اعوام التحصيل » التي قضاها شاب مراهق ولم يكن هذا الموضوع قد طرق في اوروبا من قبل فكان رائدا للكتابات التربوية التي كتبها « رابليه » وقصة « روبنسن كروزو » وقصة «اميل» . واشير بوجه خاص الى ان موضوع هذا البحث كان اهم المظاهر الرئيسية للقصة التي كتبها « جيته » مصورا فيها بطل القصة وقد استند الى تجربته الشخصية والى ارشادات معلمه ، كي يتعلم مهنة الرجال ، ثم اخذ يشحذ همته ومواهبه ويعيد اختراع التقنيات الى ان بلغ مستوى التحكم فى امور الطبيعة . ولقد اجتمعت لدى المفكر المغربي الذي عاش في القرن الثاني عشر جميع هذه العبر والعظات الانسانية . وهي تعبر عن ثقته البالغة في صفات الشخص الانساني وفي اتساع مجال قدراته على الاشياء والحوادث .

على ان هناك مظهرا اخر يتميز باهميته الخاصة بالنسبة لي كممثل لمنظمة دولية . الا وهو تقليدكم الخاص بصفات الكلية والعالمية التي يظهر تعبيرها في افكاركم وتتضح اثارها في نظريات مفكريكم وفى اعمالكم . لان صفات الكلية والعالمية ترمق تاريخكم باكمله .

فقد كان البحاثة الاوائل لديكم يقبلون بولع على جمع معارف زمانهم كلها دفعة واحدة . اما اعمال المتخصصين المعاصرين في العصور الوسطى فانها زادتنا معرفة بتلك القفزة الرائعة التي حققها شعب باكمله في ميدان العلم . لقد كان هذا الولع منصبا على المعرفة ولا ريب ، ولكنه كان يمتد ايضا الى المعرفة الكلية الشاملة . ومن اين لنا لولا ذلك ، هذه المؤلفات الغزيرة التي تناولت جميع النواحي دون أن يستغرق اصدارها وقتا طويلا ؟ انها فى الواقع مجموعات ضخمة من التقاليد ، فهي تضم مختارات تقارن بين المدارس الشرعية وتضم قواميس تعرف باسم « المحيط » لاتساعها ، كما تضم مجامع من العلوم الاغريقية ومؤلفات في الجغرافيا وروايات عن رحلات تصف العالم الذي كان معروفا في ذلك الوقت . ان حضارتكم القديمة هي فى الواقع حضارة كلية شاملة كما انها هي نفسها التي نقلت الاحساس الذوقي الى اوروبا ابان العصور الوسطى .

كانت حضارتكم تهتدي بالبحث في الطبيعة كما تهتدي بالوحي في اكتشاف نظام للعالم ، وكانت تتلهف على جمع معطيات العلم الاغريقي المبعثرة. وقد امتدت بحوثها حتى اراضي ما بين النهرين والهند وماوراء الهند نفسها محققة بهذا الحكمة التقليدية القائلة «اطلب العلم ولو فى الصين» وكان كافة المفكرين لديكم من المحيطين بعلم الفلك والشرع والادب والفيزياء فاذا كنت اشرت من قبل الى ابن طفيل كفيلسوف ومرب ، كان علي ان انوه به ايضا كعالم موسيقى ورجل من رجال الدولة . ومن الممكن فى الحقيقة العثور على اروع مثال عن التطلع العلمي الكلي الشامل لدى ابن خلدون الذي جمع بين صفات المؤرخ والفيلسوف والسياسي ورائد علم الاجتماع . كما يمكن ايجاد مثل ذلك ايضا في شخص ابن رشد الذي كان قاضيا لقرطبة وطبيبا للمغرب . وقد كان اسم ابن رشد خلال سنوات طوال مقرونا بفكرة التاليف والتركيب في الفلسفة تلك الفكرة الحية التي تربط الان بين اثار ارسطاطاليس وبين النقد الحديث . اما الكتاب الطبي الكبير الذي الفه ابن رشد فقد تمت ترجمته في البندقية خلال عام ١٤٩٠ بعنوان يطابق عنوانه الاصلي العربي : « الكليات » .

على ان هذه الارادة الكلية العالمية لم تكن لتجد تاكيدها بمثل هذه القوة لو لم يكن المغرب قد وجد نفسه خلال حقبة من حقبات تاريخه الفاصلة عند مفترق الطرق الرئيسية المؤدية الى رحاب الثقافة . ومن هنا كان بلدكم مركزا من مراكز الحضارة التي تعرف باسم الحضارة الاندلسية او الحضارة الاسبانية المغربية . فثقافات الشرق والغرب لم تعرف اتحادا مثل هذا الاتحاد الذي وجدته في احضان الحضارة المذكورة بشكلها التاليفي الكامل الفني بثمراته . اما الاختلاف في الطبائع او الاديان او حتى اشتعال الحروب نفسها فلم يستطع ان يسد المنافذ التي تنبعث منها هذه الحضارة . كانت كل هدنة يتم الاتفاق عليها فرصة للتبادل الثقافي . واشير في هذا المجال الى مثل واحد من بين امثلة عديدة ، يتصل بمكتبتكم التي وسعت من رفوفها الخاصة لاستقبال مجموعات الكتب العربية الهامة التي قدمها دون سانشي ملك اسبانيا بمناسبة الهدنة التي جرى الاتفاق عليها خلال عام ١٢٨٥ . وعلى هذا النسق كانت المؤلفات الادبية والعلمية تتنقل على الدوام بين المغرب واسبانيا . وقد اصبحنا اليوم نعرف معرفة كاملة القسط الوافر الذي ساهم به اجدادكم في الحضارة الاندلسية التي انتقلت باجمعها الى البلاد الغربية فيما بعد . كان تأثير اعمالكم يبلغ كافة المجالات من الحضارة المادية الى تاملات الرياضيين والصوفيين المجردة ، فتشمل مقدمات العلوم والتقنيات الجديدة والاشغال العامة وتعبيد الطرق وتشييد الجسور والمستشفيات وانشاء المصانع المختلفة واستحداث طرق التجارة وترقية الاداب الاجتماعية حتى الازياء بل واداب المائدة .

اما التاثير المتسم بالرفعة والعمق فنجده فى المجال الفني المتمثل فى الفن المعماري وفنون النقوش والزخارف ، ونجده فى المجال الموسيقي فى الاغاني العميقة التي ما تزال تطبع اغاني الاندلس بطابعها المعروف حتى الان ونجده كذلك فى الشعر الغنائي الذي رأى فيه بعض البحاثة مصدرا من مصادر المشاعر العاطفية الغربية عند دراستهم للعلاقات القائمة بينه وبين ادب الغزل فى لغة جنوب فرنسا التي كانت منتشرة وقتئذ .

وهكذا كانت مدينتكم من الاماكن الخالدة بفضل هذه الثقافة . ذلك لان الروابط الثقافية لم ينفصم عراها مع اسبانيا حتى بعد سقوط مملكة غرناطة . وكانت مدينة فاس تستقبل العلماء والكتاب الذين كانوا يفدون اليها من الاندلس او من الشرق الاسلامي . يقول مؤلف « القرطاس » فى هذا المجال ان : « فاس كانت على الدوام عطوفة على الاجانب الذين استوطنوا فيها ، ومن ثم اصبحت المدينة كالدار الكبيرة التي يجتمع فيها عدد كبير من الحكماء والمشرعين والادباء والاطباء وغيرهم من العلماء». اما عصر النهضة الايطالي فقد عرف عن طريق حسن الزياتي الذي كان يطلق عليه اسم ليون الافريقي . ان مدينة فاس كانت فى القرن السادس عشر « عاصمة للاسلام الغربي ووريثة للحضارة الاندلسية » . ولذا كان البحاثة ياتون اليها من اقاصي الارض بحثا عن المؤلفات والدراسات العلمية المجهولة . يعد المغرب اذن بهذا المعنى البلد الذي نستطيع ان نلحظ فيه اكثر من غيره تلك الحيوية البالغة التي اسهمت بها الحضارة الاسلامية فى جميع مجالات التبادل بين الشرق والغرب .

على ان هذا الدور الرابط بين ثقافات الشرق والغرب ما يزال الى اليوم دوركم انتم . وهو الى هذا يعطي اهمية خاصة لتعاونكم مع منظمة اليونسكو فى تحقيق نشاطها . فمن المهام الرئيسية المدرجة فى برنامج منظمتنا ما يعرف « بالمشروع الكبير الخاص بالتقدير والتذوق المتبادل لقيم الشرق والغرب الثقافية » الذي يستند فى تطوره ونموه الى ثلاثة مستويات مختلفة هي ـ مستوى الدراسات والبحوث التي يجريها المتخصصون ، ومستوى التعليم المدرسي والتعليم خارج المدرسة ثم مستوى تعريف الجماهير العامة وتثقيفها . اذ يتعين تدعيم وتحديد المعارف الرئيسية الخاصة بمختلف الثقافات عن طريق الاجتماعات الدولية واجتماعات العلماء ودراسات علماء الاجتماع وخصوصا عن طريق المعونة المتوقع تخصيصها لانشاء شبكة من معاهد البحوث يكون الغرض منها عرض خطوط الحضارات العريضة . وسيترتب من ناحية اخرى على مراجعة البرامج والكتب المدرسية واعداد هيئة المعلمين وانتاج المواد التربوية المناسبة والتعاون مع منظمات الشباب ان يفتح هذا النشاط كله الابواب امام التفاهم ويبعث على احترام القيم الخاصة بمختلف

الثقافات . واخيرا فان نشر الاعمال الادبية والفنية والموسيقية على نطاق واسع واستخدام وسائل تعريف الجماهير وانبائها كالصحافة والسينما والراديو ستفضي كلها ولا ريب الى تنوير الرأي العام واعطاء مجموع هذه الجهود كل قيمته الحية .

هذا ، ويتركز قسم كبير من الوسائل التي تستخدمها اليونسكو على هذا النشاط الذي يحظى بالاولوية . غير ان اعمال دول المنظمة الاعضاء واشتراكها الكامل فى هذا المشروع يتميز فى هذا المجال بمقدار حيوية اهتمامها بتنفيذ نواحي برنامج المنظمة الاخرى. واليونسكو لعلى استعداد لتقديم خدماتها فى هذا الصدد ، ومن ثم يسعدها ان تقدم للمغرب تسهيلات لدراسة وحفظ الفن الموسيقي الذي يعد اصل الغناء الاندلسي ، كما يسعدها ان تعين بوسائلها الفنية المضبوطة اولي الامر الذين يعنيهم جمع وثائق المحفوظات فى شكل افلام مصغرة بوجه خاص ، وهي وثائق تقوم شاهدا على تاريخكم الثقافي .

انكم بعملكم على زيادة التعريف بتراثكم الثقافي لا تؤكدون الشخصية المغربية فى المحيط الدولي وحسب ، ولكنكم تبرهنون بهذا العمل ايضا على ما استطاعه بل وما يستطيعه التعاون الثقافي مرة اخرى بين الشرق والغرب . فمشروع اليونسكو يفقد لا شك غرضه الاصلي في تعزيز التفاهم المتبادل للقيم الثقافية فى الشرق والغرب اذا اقتصر على تقويم كل ثقافة منفردة بذاتها دون ان يفتح بينها وبين الثقافات الاخرى باب التبادل والتذوق المشترك لعموم الثقافات . ذلك لان المشروع الكبير يستند اساسا الى المقابلة بين الثقافات المختلفة والى اوجه النشاط الخاصة بتعريف بعضها ببعض . ومن هنا كانت الاهمية المثالية التي تسهم بها فى هذا المشروع دول اعضاء واقعة مثل مملكة المغرب عند مفترق طرق الثقافات وتلاقيها .

هذه هي بعض الاسباب العديدة التي تدفعني فى مجال نشاط الخدمات الدولية المتجدد دائما الى الاهتمام الكبير بجميع الانباء التي تصلنا من المغرب حاملة معها رصيد مجهوداتكم ومجالات نجاحكم . فاذا كان اجتماع جامعة القرويين هذا يعد من احد هذه المجالات ، فهو بالنسبة لكل فرد منا اجتماع الذكرى والوفاء للعمل المستكمل . فاسمحوا لي ان اعرب لكم فى النهاية عن ان ذكريات سني الدراسة والصداقة بل وذكريات التجارب الكبيرة التي مرت بي فى هذا المكان ما تزال نابضة بالحياة فى قلبي وسابقى لها وفيا مخلصا .

باريس

رينيه ماهيه





نوفمبر ١٩٦٠

٢٣ – قال خروشوف : اننا نقبل اية رقابة شرط موافقة الدول المعنية على نزع السلاح التام وعلى تدمير الاسلحة .

– قال نهرو : العالم يعيش في حالةشبه حرب يحتمل تحولها الى حرب حامية طالما تؤمن الصين الشعبية بان الحرب محتمة . ان وضع العالم يدعو الى الذعر طالما ان الصين ترفض التعايش السلمي . اماموقف الاتحاد السوفياتي فمختلف .

– قامت مظاهرات في الكونغو ضد الامم المتحدة اثناء تشييع جنازة ضحايا الاشتباك الاخير والحالة تتفاقم .

٢٤ – اعلنت تونس انها لا تجاري المغرب في معارضته لاستقلال موريتانيا وضم هذا القطر الى المغرب . ان الاستقلال يقضي بنهاية الحكم الاستعماري . وتونس لاتعارض بعد ذلك الوحدة اذا كانت ناتجة عن ارادة كل من الشعبين .

– قرر المغرب استدعاء سفيره من تونس بعد تأييدها استقلال موريتانيا .

٢٥ – صدر بلاغ مشترك فور انتهاء زيارة عبد الناصر للسودان ، يعلن تحالف وتضامن العربية والسودان وان كل منهما يسند الاخرى ويصون استقلالها ويشير الى توسيع نطاق التعاون وتأكيد التمسك بالحياد والسلم .

٢٦ – استقبل خروشوف الوفد العسكري المغربي الذي يزور الاتحاد السوفياتي للبت في مساعدات روسيا العسكرية وغيرها للمغرب .

– لم تستجب الامم المتحدة لشكوى المغرب بشأن موريتانيا الذي يعتبرها المغرب جزءا منه .

٢٨ – احتفلت موريتانيا باعلان استقلالها، مع بقائها ضمن اسرة الدول الفرنسية . واصبحت تعرف بجمهورية موريتانيا الاسلامية .

– عرضت بريطانيا على المانيا الغربية مستودعات فوق اراضيها للذخيرة والمحروقات والالات وغيرها ، رغبة منها في تعزيز وحدة الحلف الاطلنطي .

– اشتدت الاضطرابات المعادية للحكومة في فنزويلا وامر الرئيس رومولو بيتانكور الجيش بالتدخل لقمع الاضطرابات التي وصفها بانها محاولة لاضرام ثورة شعبية لاقامة نظام حكم كنظام كوبا .

٢٩ – يبحث الجيش في الكونغو عن لومومبا الذي فر من مقره في ليوبولدفيل.

٣٠ – قمع الجيش الارجنتيني بسرعة انتفاضة بيرونية في ثكنة روازريو .

– وصل المشير عبد الحكيم عامر يرافقه وفد من الخبراء الى موسكو لاجراء محادثات باسم العربية المتحدة .

– اعلن الامير سوفانا فوما رئيس وزراء لاوس الحيادي ان حكومته لن تعترف باي بيان يعلنه الملك تحت ضغط الثوار الذين يحتلون العاصمة الملكية . وكان الثوار بقيادة الجنرال فومي نوسافان قد اذاعوا ان الملك سري سافانغ فاتانا قبل ان يصبح قائدا اعلى لقواتهم .

ديسمبر ١٩٦٠

١ – امر كاسافوبو رئيس جمهورية الكونغو باخراج سفير العربية المتحدة وجميع اركان السفارة من الكونغو متهما اياهم بالقيام بنشاط ضد امن البلاد .

– اصدر عبد الناصر مرسوما بمصادرة وتأميم جميع الممتلكات البلجيكية في مصر .

– وصل هيلاسيلاسي الى اكرا في زيارة رسمية لغانا .

– تجددت الاعمال التخريبية والاشتباكات العنيفة في هافانا عاصمة كوبا وقتل طبيب كاسترو .

– اعيد الى البرلمان مشروع ديغول الخاص بانشاء قوة ذرية ضاربة بعد ان رفضه مجلس الشيوخ للمرة الثانية .

٢ – استقبل البابا يوحنا الثالث والعشرون الدكتور فيشر رئيس اساقفة كانتربوري وهو اول اجتماع بين رئيس الكنيسة الكاثوليكية واحد زعماء كنيسة انجلترا منذ ٦٠٠ سنة.

– القت قوات موبوتو القبض على لومومبا في اقليم كاساي ونقل مكبل اليدين الى معسكر الجيش في ليوبولدفيل .

– احتجت بلجيكا على تاميم مؤسساتها في مصر وقالت انه يعتبر مناقضا للقانون الدولي . وان بلجيكا ليست مسؤولة عن طرد مبعوثي الجمهورية العربية من الكونغو فهي نفسها انقطعت علاقاتها الدبلوماسية مع الكونغو منذ يوليو الماضي . وقدرت قيمة الممتلكات المؤممة بعشرة ملايين دولار .

– اختتم مؤتمر الزعماء الشيوعيين في موسكو وصدر بلاغ جاء فيه ان سياسة خروشوف بشأن التعايش السلمي مع الغرب قد احرز انتصارا جليا .

٣ – طلب السودان من السعودية سحب سفيرها في الخرطوم لقيامه بنشاط غير ودي . وسحب السودان سفيره في جده بطلب من السعودية . واصبحت العلاقة بين البلدين « مجمدة » .

٥ – قطعت غانا علاقاتها الدبلوماسية ببلجيكا .

– بدأت اللجنة السياسية للامم المتحدة مناقشة قضية الجزائر .

– اعتقلت حكومة فنزويلا مسببي الاضطرابات في المدن الداخلية من أعضاء الحزب الشيوعي والحركة اليسارية الثورية كما اعتقل مدبر مؤامرة لقلب نظام الحكم البروفسور ريفيرو .

– نظر مجلس الامن في طلب موريتانيا الانضمام الى هيئة الامم وقد استخدم الاتحاد السوفياتي حق الفيتو في رفض الطلب .

٦ – توفي في حمص هاشم الاتاسي الزعيم السياسي واحد رؤساء الجمهورية السورية قبل الوحدة .

– طلب الاتحاد السوفياتي اجتماع مجلس الامن فورا لبحث قضية اعتقال لومومبا وعواقبه باعتبارها خطرا يهدد السلام .

– شنت وحدات من انصار لومومبا هجوما بدأته من ستانلي فيل واجتاحت ثلاث قرى غرب الاقليم الاستوائي .

– تم اقرار مشروع ديغول الخاص بانشاء قوة ضاربة ذرية .

٧ – وصل هيلاسيلاسي الى مونروفيا في زيارة رسمية لليبريا .

– افتتح دوبريه رئيس الحكومة الفرنسية مناقشة مشروع ديغول « جزائر جزائرية ». ساد الجمعية جو من الفوضى اثر حملة المحافظين على الحكومة وديغول ورفعت الجلسة .

– بدأ مجلس الامن بحث قضية الكونغو.

٨ – قام الكولونيل كوبرا سيت افاي قائد منطقة فينتيان بحركة انقلاب لتأييد حياد حكومة الامير سوفانا فوما واحتل عاصمة لاوس بعد قتال مع الكتائب المظلية اليسارية . اما قوات الجنرال فومي اليمينية فقد أصبحت على بعد ٩٠ ميلا من العاصمة في زحفها.

– فرضت سلطات الكونغو الحذر على شحن ونقل اي شيء للقوات الدولية دون اذن الحكومة .

– حددت الحكومة الفرنسية ٨ يناير المقبل كموعد نهائي لاجراء استفتاء شعبي حول سياسة ديغول في الجزائر .

– اجتمع المشير عامر بخروشوف في موسكو .

٩ – انتخبت العربية عضوا في مجلس

الامن لمدة سنتين مكان تونس التي تنتهي مدتها في مطلع العام .

ـ وصل ديغول الى الجزائر في جولة سياسية . قام المستوطنون الفرنسيون بمظاهرات واضرابات احتجاجا على سياسته وتدخل الجيش وسقط مائة جريح .

ـ امر همرشولد قوات الامم المتحدة بالتدخل لانقاذ البيض من الاعتداءات في ستانلي فيل .

١٠ ـ طلبت ٢١ دولة من اللجنة السياسية في الامم المتحدة اجراء استفتاء باشرافها في الجزائر .

ـ عاد الكابتن كونغ لي فانتزع فينتيان من يد الكولونيل كوبرا سيت افاي ورجاله . وغادر رئيس الوزراء الامير سوفانا فوما وستة من وزرائه العاصمة الى كمبوديا . واخذت قوات الجنرال فومي نوسافان تزحف من ثلاث جهات على المدينة .

ـ وصل القاهرة المشير عامر عائدا من رحلته الى موسكو .

١١ ـ وقعت اشتباكات دامية في الجزائر . اطلقت القوات الفرنسية النار على الاف المتظاهرين الوطنيين من حملة الاعلام الجزائرية الحرة . وقع مائة قتيل و ١٥٠٠ جريح .

١٢ ـ اضطر ديغول الى قطع زيارته للجزائر والعودة غدا الى باريس بعد تفاقم الموقف في الجزائر .

ـ اعلن البابا يوحنا عن اسفه لاعمال العنف الرهيبة وسفك الدماء في الجزائر واعرب عن امله بان تحل القضية سلميا بسرعة .

ـ وصل بغداد وصفي التل اول سفير اردني يعين في العراق بعد استئناف العلاقات الدبلوماسية بين البلدين .

ـ تطور الموقف بسرعة في لاوس فبعد ان اقيمت لجنة عسكرية تسلمت زمام الحكم بعد سفر الامير سوفانا ، حلت هذه اللجنة وتولى كينيم فولسنيا رئاسة الوزارة وهو شيوعي الميول . واذيع ان طائرات سوفياتية افرغت شحنات اسلحة الى قوات الكابتن كونغ لي .

ـ اعلن نهرو ان حكومته لن تسحب قواتها من الكونغو لان المنظمة الدولية التي تعمل هذه القوة بقيادتها تمثل الامل الوحيد لمنع انتشار الفوضى وربما نشوب حرب في افريقيا . واتهم بلجيكا بعرقلة اعمال الامم المتحدة .

١٣ ـ اعلن انطوان جيزينغا نائب رئيس الوزارة المعتقل لومومبا تنصيب نفسه الحاكم الشرعي الوحيد في الكونغو واعلن ستانليفيل عاصمة له وابلغ همرشولد توليه رئاسة الوزارة ونقل العاصمة .

ـ اصدر ملك لاوس مرسوما بحل حكومة كينيم فولسنيا الموالية للشيوعية وتحويل السلطات الى اللجنة الثورية اليمينية بزعامة الامير بون اوم والجنرال فومي نوفاسان .

ـ اعلنت بريطانيا ان شحن الاسلحة الروسية لعاصمة لاوس المحاصرة يعتبر خرقا لمعاهدة الصلح الهند الصينية التي وقعت منذ سنوات .

ـ اختار جون كنيدي رئيس مؤسسة روكفلر دين راسك ليكون وزيرا للخارجية الاميركية .

١٤ ـ وقع انقلاب عسكري في اثيوبيا قام به رجال الحرس الامبراطوري اثناء غياب هيلاسلاسي في زيارة للبرازيل . واذاعت الانباء ان الامير اصفا وصن نجل الامبراطور وولي العهد هو الذي قام بالانقلاب .

ـ وصل هيرتر الى باريس ليرأس بعثة اميركية في اجتماعات منظمة الحلف الاطلنطي

ـ وقعت في باريس ٢٠ دولة بينها الولايات المتحدة وكندا معاهدة بانشاء منظمة للتعاون الاقتصادي والانماء عبر الاطلنطي ، تحل محل منظمة التعاون الاقتصادي الاوروبية .

ـ انهى مجلس الامن مناقشة قضية الكونغو دون التوصل الى نتيجة ، وتحولت القضية الى الجمعية العامة .

ـ تدور معركة حامية في عاصمة لاوس وانقسمت مدينة فينتيان الى جبهتين يمينية وشيوعية .

١٥ ـ اعتقل ماهندرا ملك نيبال رئيس الوزراء بيشوار براسادكويرالا وحل البرلمان .

ـ احتفلت البلجيك بقران الملك بودوان ودونا فابيولا دي مودا الاسبانية .

١٦ ـ وصل هيلاسلاسي الى اسمرة واستقبل بمظاهرات التأييد واعلن راديو اديس ابابا ان القوات الموالية للامبراطور بقيادة الجنرال مريد مانفيشا قد قمعت الثورة

ـ وافقت اللجنة السياسية للامم المتحدة على مشروع القرار الاسيوي الافريقي باجراء استفتاء في الجزائر تحت اشراف الامم المتحدة واحيل المشروع الى الجمعية العامة .

ـ توفي في القاهرة حسين سري احد رؤساء الحكومات السابقة .

ـ اعلنت حالة الطوارئ في نيبال وحذرت الاجتماعات والدعاية السياسية وقالت الانباء ان الشيوعيين وزعماء حزب المؤتمر قد اعتقلوا

ـ اعلن نهرو انه لما يؤسف له ان تصاب تجربة الديمقراطية في نيبال بنكسة .

ـ انتهى القتال في عاصمة لاوس بانتصار القوات اليمينية على اليساريين ووصل الى فينتيان رئيس الوزراء الجديد بون اوم يرافقه الجنرال فومي نوفاسان .

١٧ ـ تستمر الحرب الاهلية في لاوس بالرغم من سيطرة القوات اليمينية على العاصمة فقد اخذت القوات الشيوعية المنسحبة تجمع صفوفها واسلحتها .

ـ وصل هيلاسلاسي الى اديس ابابا واستقبل بمظاهرات الترحيب تبين ان ولي العهد وسائر اعضاء الاسرة المالكة كانوا معتقلين ولا دخل له بالثورة .

١٩ ـ اصدر مؤتمر رؤساء الدول الافريقية الناطقة باللغة الفرنسية في برازافيل بلاغا اعلن فيه انه يمكن الوصول الى حل سياسي لمشكلة الكونغو في مؤتمر مائدة مستديرة يمثل جميع الفرقاء في الكونغو . وبشان الجزائر قرر المؤتمر دعوة فرنسا الى الدخول في مفاوضات مع الوطنيين الجزائريين وتطبيق مبدأ تقرير المصير .

ـ بدأت مطاردة عنيفة للقبض على زعماء الثورة في اثيوبيا . ووصفت الاجراءات التي تتخذها السلطات بانها شديدة وان ما جعل الامبراطور يبالغ في القسوة الدماء التي اراقها الثوار حتى قدر عدد ضحايا الثورة بالاف القتلى يتقدمهم الوزراء .

٢٠ ـ اجتمع ايزنهاور بمستشاريه لبحث الانباء المنتشرة عن صنع اسرائيل قنبلة ذرية واصدرت وزارة الخارجية بيانا بانها طلبت من السفير الاسرائيلي منذ عشرة ايام تزويدها بمعلومات عن ذلك ولكنها لم تتلق جوابا .

ـ رفضت الجمعية العامة الاقتراح الافريقي الاسيوي الداعي الى اجراء استفتاء في الجزائر باشراف الامم المتحدة .

ـ رفضت الجمعية العامة مشروعي الغرب والدول الاسيوية الافريقية بشان الكونغو .

ـ جدد ديغول دعوته الى الزعماء الجزائريين للمفاوضة وقال انه سيكون للجزائر الجزائرية هيئتها التنفيذية ومجلسها المنتخب وانه متى انتهى القتال سيبحث مع زعماء الثورة شروط تقرير المصير .

٢١ ـ قبل الملك سعود استقالة الامير فيصل رئيس الوزراء وجميع اعضاء الوزارة .

٢٢ ـ اعلنت فرنسا ان قواتها الجوية اكرهت طائرة لبنانية على الهبوط في وهران بالجزائر كانت قادمة من ستوكهلم الى الدار البيضاء وتحمل خمسة اطنان من الاسلحة الى المجاهدين الجزائريين .

ـ اعلن الملك سعود عن تاليف وزارة جديدة برئاسته .

ـ قال بن غوريون في البرلمان الاسرائيلي ان ما يسمى المولد النووي السري الذي بنته اسرائيل في النقب مخصص بكليته للاغراض السلمية .